

الدكتور
عبد الحليم محمود

شهر رمضان

الطبعة الرابعة



دار المعارف

شَهْرُ رَمَضَانَ

تصميم الغلاف : شريفة أبو سيف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ،
وخير الخلق أجمعين . من أرسله الله رحمة للعالمين ، وأنزل عليه القرآن
يهدى للتي هي أقوم ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى أصحابه ،
ومن اتبع هديه إلى يوم الدين .

مقدمة

في جو التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين . وبعد : فإن رسول الله ﷺ يقول : « أنا نبي التوبة » والواقع أن الطريق إلى التوفيق في عمل الحق الذي أرسل الله به رسوله إنما يبدأ بالتوبة الخالصة النصوح ، ولقد كان رسول الله ﷺ يعيش في جو من التوبة مستمر ، ولقد روى عنه أنه كان يقول ما معناه : يأيتها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنني أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ويقول : يأيتها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنني أتوب إليه وأستغفره في اليوم مائة مرة ، وما كانت توبة رسول الله ﷺ عن ذنب وحاشاه ﷺ وهو المعصوم ، وما كانت توبته ﷺ عن غفلة ، كلا ، وحاشاه صلوات الله وسلامه عليه ، وإنما كانت توبته توبة عبادة وتوبة عبودية ، ومن أجل ذلك كان يكثر منها عبادة وعبودية ، وكان يكثر منها ليكون في داخل الإطار الذي رسمه الله سبحانه وتعالى بقوله : (إن الله يحب التوابين) ، والتوابون هم الذين يكثر من التوبة .

وإن للتوبة الصادقة خصائص ، إنها أولاً تخرج الشيطان من القلب فيصبح طاهراً بريئاً من كل دنس ، وهذا هو المغزى العميق من وراء كل الجدل والمأراة في حادث شق الصدر ، وما من شك في أن المغزى الذي نأخذه من شق الصدر واستخراج حظ الشيطان منه هو الطهارة الكاملة للصدر ، ونشأ رسول الله ﷺ منذ بواكير حياته مطهراً نقياً ، وأول خصائص التوبة إذن إنما هي الطهارة والبراءة التامة .

وإذا أخذنا شق الصدر بالنسبة للرسول ﷺ بمثابة التوبة بالنسبة لنا ، فإننا نقول إن من خصائص التوبة حينما يتكرر في صدق وإخلاص أن تملأ القلب سكينه ، لأن الإنسان بالتوبة الصادقة يلقى بنفسه في الرحاب الإلهي فيسكن إلى الله ، وكفى بالله هادياً وكفى بالله نصيراً ، إنه بالتوبة وهي نوع من اللجوء إلى الله ، والتضرع إليه والإنابة يسلم الأمر إلى الله وفي التوبة تسليم ، وفي التوبة توحيد ، وفي التوبة توكل على الله فيمتلئ القلب سكينه ، وإذا كانت الأحاديث الشريفة تقول عن شق الصدر في المرة الأولى : إن الملكين استخرجا حظ الشيطان من القلب الشريف ، فإنها تقول عن شق الصدر في المرة الثانية : إن الملكين ملأ قلبه الشريف سكينه .

ويتكرر التوبة فتصل إلى ما عبرت عنه الأحاديث الشريفة عن شق الصدر الشريف في المرة الثالثة ، وذلك أن الملكين ملأ القلب الشريف حكمة ، وكذلك في التوبة إذا دامت . ثم إنها إذا تكررت انتهت بحب

الله العبد المكثر من التوبة إن الله يحب التوابين .

وكلمة رسول الله ﷺ . أنا نبي التوبة معناها في النهاية أنا النبي الذي أتيت راسماً الطريق الذي يسير بالإنسان في خطوات منتظمة رتبية إلى استخراج حظ الشيطان من القلب ، ثم إلى امتلاء القلب سكينه ، ثم إلى امتلاء القلب حكمة ، ثم إلى حب الله سبحانه وتعالى لعبده .
التائب .

وأما بعد فإن من طرائف العقول المستبصرة ما رواه صاحب كتاب الشامل ونقله عن الإمام ابن كثير في تفسيره من أن أعرابياً جاء إلى الضريح النبوي الشريف وقال :

السلام عليك يا رسول الله ، لقد قال الله في كتابه العزيز :
(ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) .

وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربى ثم أنشأ يقول :
يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبين القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
وانصرف الأعرابي ، وكان جالساً بالقرب منه رجل صالح يسمع كلامه ، فأخذته سنة من النوم فرأى النبي ﷺ في النوم يقول له : الحق بالأعرابي فبشره بأن الله قد غفر له . .
هذا وبالله التوفيق ، ، ،

الفصل الأول

شهر رمضان وليلة القدر

١ - شهر رمضان في اللغة

والشهر فيما قيل ، أصله من « الشهرة » . يقال منه :
 « قد شهر فلان سيفه » - إذا أخرجه من غمده فاعترض به من أراد
 ضربه - « يشهره شهراً » . وكذلك « شهر الشهر » ، إذا طلع هلاله ،
 « وأشهرنا نحن » ، إذا دخلنا في الشهر ، هذا عن كلمة : شهر .
 أما عن كلمة رمضان : فإنها من الرمض ، يقول صاحب مختار
 الصحاح :

« الرمض » بفتحتين : شدة وقع الشمس على الرمل وغيره ،
 والأرض (رمضاء) بوزن حمراء ، وقد (رمض) يومنا : اشتد حره ،
 وبابه طرب ، وأرض (رمضة) الحجارة و (رمضت) قدمه أيضاً من
 الرمضاء أى احترقت .

وفي الحديث « صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال من الضحا » ،
 أى إذا وجد الفصيل حر الشمس من الرمض ، يقول صلاة الضحا ،
 تلك الساعة .

و (أرمضته) الرمضاء : أحرقته .

وشهر (رمضان) جمعه (رمضانات) و (أرمضان) بوزن

أصفياء . قيل : إنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسمى بذلك » (١) .

وكان مجاهد رضى الله عنه يكره أن يقال : « رمضان » . ومن كلامه :

« لكن نقول كما قال الله : « شهر رمضان » .

٢ - ليلة القدر

وفي هذا الشهر المبارك ، أنزل القرآن الكريم . . يقول سبحانه :
(شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) .

ويقول سبحانه :

(إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها ، بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر) .
إن وثيقة فريدة فى العالم كله ، لا مثيل لها فى تراث الإنسانية تحدثنا عن هذه الكيفية .

(١) مختار الصحاح

ونعني بذلك الحديث الشريف الذي رواه الإمام البخاري ، وروته
كتب السنة عن كيفية بدء الوحي :

يقول الإمام البخاري نضر الله وجهه : حدثنا يحيى بن بكير قال :
حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير ، عن عائشة
أم المؤمنين أنها قالت :

« أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في
النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حجب إليه
الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات
العدد قبل أن يتزعج إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود
لمثلها حتى جاءه الحق ، وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال :
اقرأ

قال : ما أنا بقارئ

قال : فأخذني فغطني حتى بلغ من الجهد ، ثم أرسلني فقال :
اقرأ

قلت : ما أنا بقارئ

فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال :
اقرأ

فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة ، ثم أرسلني فقال :
(اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ

وربك الأكرم)

فرجع بها رسول الله ﷺ ، يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال :

زملونى ، زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروح ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى ، فقالت خديجة :

« كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق » .

فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ، ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً ، قد عمى فقالت له خديجة :

يابن عم اسمع من ابن أخيك .

فقال له ورقة : يا بن أخى ، ماذا ترى ؟

فأخبره رسول الله ﷺ ، خبر ما رأى .

فقال له ورقة :

هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ، يا ليتنى فيها جذعاً ، ليتنى

أكون حياً إذ يخرجك قومك .

فقال رسول الله ﷺ :

أو مخرجى هم ؟

قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرأ مؤزراً . » .

إن هذا الحديث الشريف يوضح كيفية نزول الوحي .
ولقد سمي القرآن الليلة التي نزل فيها القرآن : ليلة القدر ، أى ليلة الشرف والرفعة ووصفها بأنها مباركة يقول الله تعالى :
(إننا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين . رحمة من ربك إنه هو السميع العليم) .
وما دام القرآن الكريم قد أنزل فى ليلة القدر ، وأنه سبحانه قد أنزله فى شهر رمضان فإنه يتعين أن تكون ليلة القدر فى شهر رمضان .
ويتساءل الناس : أى ليلة هى فى شهر رمضان ؟

وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم ، فإننا نجد أنه لم يحددها ، ولم يحددها الرسول ﷺ تحديداً تاماً ، وإنما حددها على التقريب فإنه صلوات الله عليه وسلامه يقول فيما رواه البخارى ومسلم رضى الله عنها :
« تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر » أى فى العشر الأواخر من رمضان : تحروا : أى اطلبوها يجد فى العبادة ، ثم يقرب الرسول ﷺ الأمر أكثر من ذلك فيقول فيما رواه الإمام البخارى :

« تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان » .
ولقد رآها كثير من الصحابة فى السبع الأواخر من رمضان .
ويحددها أبى بن كعب ، وابن عباس رضى الله عنهما ، وكثير غيرهما

بأنها ليلة السابع والعشرين .

عن زر بن حبیش قال : سألت أبي بن كعب فقلت : إن أخاك ابن مسعود يقول : « من يقيم الحول يصب ليلة القدر » فقال رحمه الله : « أراد ألا يتكل الناس » .

أما إنه قد علم أنها في رمضان ، وأنها في العشر الأواخر ، وأنها ليلة سبع وعشرين « ثم حلف لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين . فقلت : بأى شيء تقول ذلك يا أبا المنذر ؟ قال : « بالعلامة - أو بالآية - التي أخبر عنها رسول الله ﷺ أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها » .

وعن أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان ثم اعتكف العشر الأوسط في قبة تركية ، ثم أطلع رأسه فقال : « إني أعتكف العشر الأول أتمس هذه الليلة ، ثم أعتكف العشر الأوسط ثم أتيت فقبل لى :

إنها في العشر الأواخر ، فمن كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر ، ثم أريت هذه الليلة ثم أنسيها ، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين من صبيحتها ، فالتمسوها في العشر الأواخر . . . والتمسوها في كل وتر » .

قال : فطمرت السماء تلك الليلة ، وكان المسجد على عريش ، فوكف المسجد فبصرت عيناي رسول الله ﷺ ، وعلى جبهته أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين .

متفق عليه في المعنى واللفظ لمسلم إلى قوله : « فقل لي إنها في العشر
الأواخر » . والباقي للبخارى .

على أن المحاولات في سبيل تحديد ليلة القدر كثيرة وطريقة .
منها مثلاً ما قال بعضهم : من أن عدد كلمات سورة القدر ثلاثون
كلمة كعدد أيام رمضان ، وكلمة « هي » التي تشير إلى ليلة القدر في قوله
تعالى في السورة نفسها : (سلام هي) هذه الكلمة تمام سبعة
وعشرين ، هذه محاولة .

ومحاولة أخرى هي :
أن حروف ليلة القدر تسعة حروف وقد ذكرت ليلة القدر في السورة
ثلاث مرات ، وثلاثة في تسع بسبع وعشرين ،
أما الشيخ أحمد زروق رضي الله تعالى عنه فإنه يقول فيها :
إنها لا تفارق ليلة جمعة من أوتار آخر الشهر وقد روى هذا أيضاً عن
ابن العربي .

وهذه محاولات ، أما الثابت اليقين ، هو : أن القرآن لم يعينها تعييناً
واضحاً ، . . . وأن الرسول ﷺ لم يحددها تحديداً تاماً .
ولقد قال أسلافنا رضي الله عنهم :
أخفى الرب أموراً في أمور الحكم :
ليلة القدر في الليالي لتحبي جميعها .
وساعة الإجابة في الجمعة ليدعو في جميعها .

والصلاة الوسطى في الصلوات ليحافظ على الكل .
 والاسم الأعظم في أسمائه ليدعى بالجميع .
 ورضاء في طاعته ليحرص العبد على جميع الطاعات
 وغضبه في معاصيه ليتزجر عن الكل .
 والولى في المؤمنين ليحسن الظن بكل منهم .
 ويحيى الساعة في الأوقات للخوف منها دائماً .
 وأجل الإنسان عنه ، ليكون دائماً على أهبة .
 ويعقب الشيخ أحمد الصاوى على ذلك في حاشيته ، على
 الجلالين ، فيقول :
 « فعلى هذا يحصل ثوابها لمن قامها ، ولو لم يعلمها ، نعم العالم بها
 أحمل ، هذا الأظهر » .

* * *

أما فضلها فإنه هائل ضخمة ، ففيها نزل القرآن هدى للناس ،
 وبيانات من الهدى والفرقان .
 ومعنى نزول القرآن نزول رسالة الرحمة العامة ، الرحمة بكل
 العوالم ، فإن الله سبحانه وتعالى قد حدد سبب الرسالة الإسلامية ،
 وحدد أساسها وحدد غايتها ، وهدفها بأنه الرحمة .
 يقول تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .
 ويقول سبحانه : (حم والكتاب المبين ، إنا أنزلناه في ليلة مباركة ،

إنا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم ، أمراً من عندنا إنا كنا
مرسلين ، رحمة من ربك إنه هو السميع العليم) .
ثم إنه تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم .
فعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ .

« إذا كان ليلة القدر نزل جبريل (عليه السلام) في كبكبة من
الملائكة ، يصلون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل ، فإذا
كان يوم عيدهم ، يعنى يوم فطرهم - باهى بهم ملائكته ، فقال : يا
ملائكتى . . ما جزاء أجير وفّى عمله ؟ قالوا :
ربنا جزاؤه أن يوفى أجره . قال :

ملائكتى ؟ عبيدى وإمائى قضوا فريضتى عليهم ، ثم خرجوا يعجبون
إلىّ بالدعاء وعزّى وجلالى ، وكرمى وعلوى ، وارتفاع مكانى ،
لأجيينهم ، فيقول : ارجعوا فقد غفرت لكم ، بدلت سيئاتكم
حسنات . قال : فيرجعون مغفوراً لهم » .
ثم هى سلام من أولها حتى مطلع الفجر : (سلام هى حتى مطلع
الفجر) .

ومن أجل ذلك كانت خيراً من ألف شهر .
والألف شهر هى : ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر ، وذلك عادة
عمر الإنسان ، فهى خير من عمر الإنسان ، من عمر كل إنسان : من
عمر كل إنسان فى الماضى وفى المستقبل ، أى أنها خير من الدهر .

ومن فضل الله سبحانه وتعالى على المسلمين ، أن من قامها ، إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه .

وفى فضلها نروى الأحاديث التالية :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :

دخل رمضان فقال رسول الله ﷺ :

« إن هذا الشهر قد حضركم ، وفيه ليلة خير من ألف شهر ، من

حرمها فقد حرم الخير كله ولا يحرم خيرها إلا محروم » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من

قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وتقدم فى رواية لمسلم قال :

« من يقم ليلة فيوافقها - وأراه قال : إيماناً واحتساباً - غفر له ما

تقدم من ذنبه » .

وروى أحمد من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن عمرو بن

عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت قال : أخبرنا رسول الله ﷺ عن

ليلة القدر قال :

« هى فى شهر رمضان فى العشر الأواخر ، ليلة إحدى وعشرين ،

أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، أو سبع وعشرين ، أو تسع

وعشرين ، أو آخر ليلة من رمضان ، من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما

تقدم من ذنبه وما تأخر » .

وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال :
 « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن
 صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » .
 يقول الإمام الصاوى فى حاشيته على الجلالين :
 « وأحسن ما يدعى به فى تلك الليلة العفو والعافية كما ورد » .
 وينبغى لمن شق عليه طول القيام ، أن يتخير ما ورد فى قراءته ، كثرة
 الثواب : كآية الكرسي .
 فقد ورد أنها أفضل آية فى القرآن .
 وكأواخر البقرة لما ورد : « من قام بها فى ليلة كفتاه » .
 وكسورة « إذا زلزلت » لما ورد : أنها تعدل نصف القرآن .
 وكسورة « الكافرون » لما ورد : أنها تعدل ربع القرآن .
 والإخلاص تعدل ثلثه .
 ويس ، لما ورد : أنها قلب القرآن ، وأنها لما قرئت له .
 ويكثر من الاستغفار ، والتسبيح والتحميد ، والتلهيل ، وأنواع
 الذكر : والصلاة على النبي ﷺ .
 ويدعو بما أحب لنفسه ، ولأحبابه ، أحياء وأمواتاً .
 ويتصدق بما تيسر له .
 ويحفظ جوارحه عن المعاصي .
 ويكنى فى قيامها صلاة العشاء والصبح فى جماعة .

وورد من صلى المغرب والعشاء في جماعة ، فقد أخذ بحظ وافر من ليلة القدر .

وورد من صلى العشاء في جماعة ، فكأنما قام شطر الليل ، فإذا صلى الصبح في جماعة فكأنما قام شطره الآخر .

وقد ورد : « من قال لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ثلاث مرات ، كان كمن أدرك ليلة القدر ، فينبغي الإتيان بذلك كل ليلة » .

هل هي حقاً ليلة تفتح فيها أبواب السماء لإجابة الدعاء ؟
نعم ، ولا ريب ، أنها ليلة تفتح فيها أبواب السماء لإجابة الدعاء للموعدون . والموعدون هم الذين استجابوا لله سبحانه وتعالى ، فاستجاب الله لهم ، هم الذين استقاموا كما أمروا ، هم الذين أسلموا وجوههم إليه ، فتكفل بهم .

إن هؤلاء إذا سألوا الله أعطاهم ، وإذا استعاضوا به أعادهم ، ورب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره .

ومن وسائل التأهل لليلة القدر : الاعتكاف .
وسنة الاعتكاف أن يبدأ الذي عزم على الاعتكاف ، اعتكافه بعد صلاة الفجر مباشرة .

عن عائشة رضي الله عنها ، قالت :
كان رسول الله ﷺ ، إذا دخل العشر أى العشر الأخيرة من

رمضان ، شد مئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله .

وفي رواية لمسلم :

كان يجتهد في العشر الأواخر مالا يجتهد في غيره .

وعن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يعتكف ، صلى الفجر ، ثم دخل في معتكفه .

وتوضح السيدة عائشة رضي الله عنها سلوك المعتكف فتقول :
« السنة على المعتكف ألا يعود مريضاً ، ولا يشهد جنازة ، ولا يمس المرأة ، ولا يباشرها ولا يخرج لحاجة ، إلا لما بد منه ، ولا اعتكاف إلا بصوم ، ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع ^(١) .

والمعتكف يستعد للاعتكاف بالفراش والغطاء وبما يلزمه .
عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ : أنه كان إذا اعتكف طرح له فراشه ، أو يوضع له سريره وراء أسطوانة التوبة ^(٢) .

وبعد :

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت صاحب هذا القبر يقول من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها (أى حتى قضى له أمره) كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين .

ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى ، جعل الله بينه وبين النار

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه ابن ماجه .

ثلاث خنادق أبعد مما بين الخافقين^(١) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال في المعتكف :
« هو يعكف الذنوب ، ويجرى له من الحسنات كعامل الحسنات
كلها »^(٢) .

وعن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله ! أ رأيت إن علمت أى
ليلة ليلة القدر ، ما أقول فيها ؟ قال : قولى :
« اللهم إنيك عفو تحب العفو فاعف عني »^(٣) .

٣ - ليلة القدر

إيجاز ، وتلخيص ، وتفصيل

يقول الله تعالى :

(شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من
الهدى والفرقان) .

(١) رواه الحاكم وصححه .

(٢) أى أن المعتكف قد اتخذ الأسباب بالاعتكاف لحفظ نفسه من الذنوب
فيكتب الله تعالى له من الثواب ما يماثل ثواب فاعل الطاعات كلها وذلك أنه وقف
نفسه في بيت الله على طاعة الله .

(٣) رواه أحمد ، وابن ماجه ، والترمذى وصححه .

ويقول سبحانه :

(إنا أنزلناه في ليلة القدر) .

وليلة القدر إذن هي في شهر رمضان ، أخذاً من هذه النصوص
الكريمة .

ويخبر ، سبحانه ، عن هذه الليلة : أنها خير من ألف شهر ، إذ تنزل
الملائكة والروح فيها ، بإذن ربهم من كل أمر .

وهي فضلا عن ذلك ، سلام يستمر من غروب الشمس حتى مطلع الفجر .
ومن أجل هذا الفضل العظيم ، كان رسول الله ﷺ ، يستعد لها
بالعبادة ، ويبسئ الجوروى المناسب لتزول الملائكة والروح ،
والمناسب للسلام القلبي الذى هو ثمرة التوبة والإنابة والتقوى ، والذى
هو اطمئنان النفس إلى الله ، فيخاطبها سبحانه ، خطاباً تفهمه .

(يأيتها النفس المطمئنة : ارجعى إلى ربك - في هذه الدنيا وفي
الآخرة - راضية عن الله ، مرضية منه ، فادخلى فى عبادى عاجلا ،
وادخلى جنتى آجلا .

وكانت التهيئة التى يقوم بها ، ﷺ ، استعداداً لشروق نور هذه
الليلة الشريفة : إنما هي الاعتكاف ، كان ﷺ ، يعتكف عادة في
العشر الأواخر من رمضان ، فيدخل المسجد قبل غروب شمس اليوم
العشرين من الشهر المبارك : يدخل متفرغاً للعبادة ، متجهاً إلى الله بكل
كيانه .

وما من شك في أن الاعتكاف في المسجد ، يهيئ الجو لجمع
الخواطر ، ويهيئ الصفاء القلبي ، فيتفرغ الإنسان للطاعة ، متشبهاً
بالملائكة ، ويتعرض بذلك لليلة القدر ، وقد كان ، ﷺ ، يحث
الصحابة على هذا الاعتكاف ، ويشجعهم عليه ، التماساً لمرضاة الله
وتعرضاً ، لإشراق ليلة القدر .

وهي ليلة يكون فيها انتشار الروحانية بقراءة القرآن والصلاة
والذكر ، وتنزل فيها الملائكة طائفة بالذاكرين ، مستغفرة لهم ومصلية
عليهم ، مبشرة لهم .

عن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، قال : « إذا كان
ليلة القدر نزل جبريل في كسبة من الملائكة ، يصلون ويسلمون على كل
عبد قائم أو قاعد ، يذكر الله تعالى » .

ويقول الله سبحانه :

(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، تنزل عليهم الملائكة : ألا
تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم في
الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما
تدعون نزلاً من غفور رحيم » .

إن أنوار المؤمنين المتبتلين في تلك الليلة : تتلألأ متعاكسة فيما بينهم ،
وتتمتج ، فتجذب بلألأها الأرواح الملائكية ، فتقترب من المتعبدين
فتزيد في الصفاء ، فيكون انشراح الصدر ، ووضع الأوزار التي تنقض

الظهور ، ويكون غسل القلب بالماء والثلج والبرد وتتوافر بكل ذلك
وسائل التعرض لنفحات الله .
« إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها »
وليلة القدر من نفحات الله .

افضل الثاني

شهر رمضان والصيام

بسم الله الرحمن الرحيم

(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون . شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكلوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) .

صدق الله العظيم

وأما الصيام ، فإن ابن جرير يقول :

« الصيام » مصدر ، من قول القائل : « صمت عن كذا وكذا » -

يعنى : « كففت عنه » - « أصوم عنه صوماً وصياماً » .

ومعنى « الصيام » ، « الكف عما أمر الله بالكف عنه » ، ومن ذلك

قيل : « صامت الخليل » ، إذا كفت عن السير .

ومنه قول الله تعالى في ذكره : (إني نذرت للرحمن صوماً) ^(١) .
 يعنى : صمتاً عن الكلام .
 وأما الصوم الإسلامى الشرعى ، فهو ما نبتدئ الحديث عنه : نعود
 في هذا إلى الآية القرآنية الكريمة .
 (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من
 الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً أو
 على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ،
 ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) ^(٢) .
 نبتدئ في الحديث عن الصيام ، بالحديث عن حكمته .

حكمة الصيام

يتحدث الناس عن صيام رمضان ، وفوائده ، وحكمة مشروعيته ،
 منذ أن فرضه الله تعالى ، إلى الآن .
 وحينما يحل هذا الشهر المبارك ، يكثر الحديث عنه في الصحف ،
 والمجلات ، والكتب . وصحافتنا المصرية : تتبارى في اجتذاب أكبر
 عدد من الكتاب ، ليكتبوا : « حديث رمضان » أو : « حديث
 الصيام » .

(٢) سورة البقرة آية : ١٨٥

(١) سورة مريم آية : ٢٦

ويتنافس كتابنا في استنتاج الهدف من فرض الصيام .
ومن الحق أن نقول : إن التوفيق يصاحبهم في كثير من الأحيان .
بيد أن هذه الآراء التي تذكر في حكمة الصيام : محدودة معينة ، ولذلك
كانت دائماً ، موضع تكرار ، ولو لم يكرر القول لنفد كما يقولون .
لذلك كانت تفاوت كتابنا ، إنما هو ، على الخصوص ، في كيفية
العرض وجمال الأسلوب .

ومن الآراء التي ذكرت في حكمة الصيام .
١ - الإنسان تحكمه عاداته ، ويصل به الأمر إلى أن يصبح مجموعة
من العادات ، وتتحكم فيه العادات إلى درجة يصبح معها ، كأنه آلة
من الآلات ، تسير على نسق معين تؤدي أعمالاً محدودة ، فيبتعد كل
الابتعاد عن المرونة التي تفرق بينه وبين الآلات .
والإنسان الذي تحكمه عاداته : يصبح عبداً لها ، ويتخلى عن شيم
الأحرار الذين يعملون في حرية واختيار .

وفرض الله الصيام ، ليحرر الإنسان من هذه العبودية ، فإن
الصيام يقلب العادات رأساً على عقب ، ويعلم الإنسان نوعاً من
المرونة ، حتى لا يتصرف تصرف الآلة .

٢ - وقد كتب الكاتبون كثيراً عن فائدة الصوم من الناحية الطبية ،
وقد عبر عن ذلك خير تعبير ، المرحوم الأستاذ « فريد وجدى » إذ
يقول :

« كان الناس ، إلى زمان قريب ، يحسبون أن الصيام من الشئون الخاصة بالأديان ، ولكن لم يكد ينشر تاريخ الطب بين الناس ، حتى علموا أن الصيام قد اعتبر في كثير من الأمراض : من مقومات الصحة الجسمية ، كما علموا من عهد « أبقرط » أنه عامل قوى من العوامل المنقية للجسم من سموم الأغذية ، فإن المواد الحيوانية التي نتناولها بشراهة ، تحتوى على مواد دهنية ، ومواد رباعية العناصر ، لا تطيق البنية البشرية أن تحتزن مقداراً يزيد عن الحاجة منها ، وإطلاق الحرية للإنسان ، يجعله يتناول كل ما يقع تحت يده وكثيراً ما يصاب بسبب هذه الحرية بآفات مرضية ، تكون وبالا عليه ، والصوم ذو تأثير بالغ في تخفيف الأعراض التي تنتاب الأعضاء الظاهرة والباطنة ، وتحويل محمود في حالة المريض يتأدى منه إلى التخلص مما أصابه من الآلام والانحرافات ، وحصّة الروح من هذا التحويل لا تقل قيمة عن حصّة الجسم . وقد استفاد الطب من ناحية الصوم ما لم يستفده من ناحية العلاج بالعقاقير .

٣ - وقد فرض الله الصوم ، ليحس الغنى بألم الجوع ، فيحسن إلى الفقير ، وبذلك يتم العطف والمودة ، وينشأ عنها تماسك المجتمع وسعادته .

٤ - وقد فرض الله الصوم كذلك تربية للإرادة وتقوية للعزيمة ، وتدريباً على الصبر .

٥ - وكذلك فرض الله الصوم ، تهذيباً للنفس ، وتصفية للروح .
 هذه الآراء وغيرها ، قد قيلت في حكمة الصوم ، وكررت ، ولكن
 الذى لاحظته الكثيرون من ذوى البصائر أن الأمم الإسلامية ، في وضعها
 الحالى ، أقل مرونة من الأمم الغربية ، وعلى الأخص ، من قطر كأمريكا
 الشمالية مثلا ، ويلاحظون ، أن هذه الأمم الإسلامية ، أقل في مستواها
 الصحى ، من الأمم الغربية ، كما يلاحظون أننا في بيئاتنا الحاضرة ، وفي
 وضعنا الراهن : نعانى الأمرين : من شح الأغنياء ، ولا نكاد نرى من
 يتبرع لمعهد علمى ، لتعليم أولاد الفقراء ، أو لمبرة خيرية ، وبيوتهم مغلقة
 لا يكاد الفقير يجرؤ حتى على التطلع إليها ، ومع أنهم يسرفون في ملاذهم
 وينفقون الآلاف في أوروبا وغيرها على موائد القمار وحفلات السباق ،
 وعلى الغانيات والراقصات : فإنهم لا ينفقون شروى نقير في وجه من
 وجوه الخير .

ومن دقة الإمام الشافعى ، رضى الله عنه ، أنه لم يقل : إن الصوم
 يعلم الجود أو يبسط الأيدى وإنما تمنى أن يكون الصائم كذلك ، فقال في
 أسلوبه الدقيق : « أحب للصائم الزيادة بالجود في شهر رمضان ، اقتداء
 برسول الله ﷺ ، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم ، ولتشاغل كثير
 منهم فيه بالعبادة عن مكاسبهم » .

ولاحظ ذوو البصائر أيضاً : أن الصبر ، لا يكاد يوجد عند

الصائم ، بل يتخذ الناس الصوم عذراً للصائم ، إذا تجاوز الحد ، وكثيراً ما تجاوزه .

* * *

لهذا كله ، رأى بعض المفكرين ، أن حكمة الصوم لا نعلمها ، ذلك أنه عبادة والعبادة في كثير من تفاصيلها ، لا نعلم لها حكمة ، هل نعلم مثلاً ، حكمة الصلاة في أن تكون ركعتين في الصباح ، وقت النشاط ، وأربعاً في الظهر وهو وقت يكون الإنسان فيه عادة ، مجهداً ؟ إن الصوم ، حسباً يرون ، من هذا النمط ، . . فرضه الله تعالى ، لحكمة ، لا شك في ذلك ولكننا لا نعلمها .

ونحن هنا لا نتمشى مع النظرة الأخيرة التي تنفض يدها من بيان الحكمة في الصوم ، ولا نريد أن نكرر ما قالوه سابقاً ، ذلك أننا نتجه إلى الآيات القرآنية التي تحدثت عن الصوم ، فنستلهمها الحكمة وفيها ، ولو تأملنا ، الحكمة واضحة ، في تعبير غاية في الدقة ، يقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ، كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم ، لعلكم تتقون) .

في هذه الآية ، يتحدثنا الله ، سبحانه وتعالى ، أنه كتب علينا الصوم وفرضه ، لغاية معينة ، ذكرها في قوله : (لعلكم تتقون) .

وعبر القرآن بكلمة : « لعل » ولم يقطع ولم يجزم بأن ثمرة الصوم

لا محالة ، تحقق التقوى ، لأن الصوم : يعد ثمرة التقوى للصائم .
 إنه إعداد وتهيئة ، إن مثله - بالنسبة للصائم - كمثّل زارع ، تعد له
 الأرض وتهبّأ ، وتعطى له محروثة ، لا حشائش فيها مهياة تمام التهيئة ،
 وما عليه إلا أن يتصرف حسب ما يريد ، فإن شاء ألقي فيها البذر ، ثم تركه
 يذبل ويموت ، وإن شاء تركها مهملة ، تنمو فيها الحشائش الخبيثة من
 جديد ، وتعود تربة غير صالحة ، وإن شاء ألقي فيها البذر وتعهده ، حتى
 يترعّع ويستوى على سوقه ، ويؤتى أكله .

كل هذا منطوق في كلمة : (لعلكم تتقون) .
 فإذا ما تعهد الإنسان نفسه ، التي أعدت بالصوم ، وانتهى إلى
 التقوى ، كان جزاؤه ، حقيقة عند الله ، عظيماً .
 ومن هنا مفتاح فهم الأحاديث التي رويت في الصوم والتي لا تفهم
 فهماً حقيقياً إلا إذا راعينا أن الصائم ، يتعهد نفسه التي مهدت وأعدت
 بالصوم .

طلب أبو أمامة من رسول الله ، ﷺ ، يوماً أن يأمره بعمل ينفعه
 الله ، تعالى ، به فقال ﷺ :

« عليك بالصوم ، فإنه لا عدل له ، فكرر له أبو أمامة الطلب ،
 فقال ﷺ : « عليك بالصوم ، فإنه لا مثل له » وطلب أبو أمامة ،
 للمرة الثالثة نفس الطلب فقال عليه الصلاة والسلام ، أيضاً نفس ما
 قاله في المرة الثانية . »

ولا شك ، أن الصوم ، لا عدل له ، ولا مثيل له ، في تهيئة النفوس للتقوى ، ومن انتهى بهذه التهيئة إلى غايتها ، « وصام رمضان إيماناً واحتساباً : غفر له ما تقدم به ذنبه » .

ومن هنا كان المعنى العميق ، للحديث المشهور : « كل عمل ابن آدم : الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، قال الله تعالى : إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزي به » .

وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم وبقية الكتب الستة ، وهو متناسق مع حديث آخر قدسى ، رواه البخارى وغيره :

« كل عمل ابن آدم له : إلا الصوم ، فإنه لى وأنا أجزي به » .
وقد فهم الناس أن الله ، يجازى على الصوم ، باستمرار ، جزاء يزيد على سبعمائة ضعف ، وهذا صحيح فيما يتعلق بمن تعهد نفسه واتقى ، أما من لم يتعهد نفسه ، ولم يتق ، فتصدق فيه الأحاديث الأخرى ، التى لا تفهم فهماً صحيحاً إلا على ضوء ما قدمنا ، يقول الرسول ﷺ :

« كم من صائم ، ليس له من صومه إلا الجوع والعطش »
رواه النسائى وابن ماجه .

ويقول ، ﷺ :
« من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخارى .

ولا ينتهى الصوم إلى ثمرته التى أرادها الله منه ، إلا إذا صدقت النية ، وقويت العزيمة ، و : « صام الإنسان إيماناً واحتساباً » أى : صام على التصديق والرغبة ، طيبة بالصوم نفسه غير كاره ولا مستثقل لأيامه ، وصام طلباً لوجه الله تعالى ، وصدقت نيته فى النجاة واستشرفت نفسه لرضوان الله .

وإذا ما توفر كل ذلك تحقق كل ما قاله السابقون والمعاصرون فى فائدة الصيام ، أما بغير ذلك فليس للصوم من فائدة ، إلا الجوع والعطش ، عافانا الله من ذلك .

حكمة الصوم من جديد

يقول الله تعالى :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) .
وإن القيم الروحية فى الصوم لتتركز أسساً ومبادئ فى هذه الكلمة التى ختم الله بها سبحانه الآية الكريمة وهى :
(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) .

فالتقوى تتألف من عنصرين : عنصر إيجابى هو القيام بما أمر الله سبحانه به من فروض وواجبات فى القول كالأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر الذى كان مع الإيمان مناط خيرية الأمة الإسلامية .

يقول تعالى :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ،
وتؤمنون بالله) .

وكذلك القيام بما أمر الله سبحانه به فى العمل كالصلاة على وجهها
الصاديق الذى يترتب عليه الانتهاء عن الفحشاء والمنكر .

أما العنصر الثانى من عناصر التقوى ، فإنه الانتهاء عما نهى الله
سبحانه وتعالى عنه فى القول : كالغيبة التى يمثل الله فاعلها بمن يأكل
لحم أخيه ميتاً ، وكالكذب بجميع ألوانه :
يقول الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً
منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم
ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك
هم الظالمون) ،

والانتهاء كذلك فى الفعل عما نهى الله عنه مثل الغش فى المكاييل
والموازين الذى يقول الله سبحانه فيه :

(ويل للمطففين . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا
كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ، ليوم
عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين ؟) .

هذا الغش الذى كان من الأسباب التى من أجلها دمر الله أمة من الأمم .

يقول الله تعالى فى سورة هود :

(وإلى مدين أخاهم شعبياً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، ولا تنقصوا المكيال والميزان ، إني أراكم بخير ، وإني أخاف عليكم عذاب يوم مخطط . ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين . بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين . وما أنا عليكم بحفيظ) .

ولكن أهل مدين لم يستجيبوا لشعيب وسخروا به ، ولم يجد فيهم أسلوب الرغبة أو الرهبة ، فكانت النتيجة ما عبر الله سبحانه وتعالى عنه بقوله :

(ولما جاء أمرنا نجينا شعبياً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين . كأن لم يغنوا فيها ، ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود) .

فإذا تحققت التقوى بالصوم ، فقد تحققت القيم الروحية التى أحبا الله سبحانه للصائم يقول رسول الله ﷺ :

« إنما الصوم جنة ، فإذا كان أحدكم صائماً ، فلا يرفث ، ولا يجهل ، وإن امرؤ قاتله أو شتمه فليقل : إني صائم ، إني صائم » . وفى هذا الحديث الشريف يبين رسول الله ﷺ ، ما ينبغى

للصائم ، وهو أن يكون صومه جنة ، أى وقاية له : وقاية عن إهمال ما أمر الله به ، ووقاية عن إتيان ما نهى الله عنه :
إنه وقاية عن ذلك فى القول ، فإنه ينبغى للصائم ألا يتحدث بأسلوب لا يحبه الله سبحانه ، وهذا معنى قوله ﷺ : (فلا يرفث) هذا فى القول .
أما ما ينبغى فى الفعل فقد عبر رسول الله ﷺ ، عنه بهذه الكلمة الجامعة :

« ولا يجهل » أى لا يتعد حدود الفعل الذى أحبه الله ، ثم ذكر رسول الله ﷺ ، مثالا لذلك بقوله :
(وإن امرؤ قاتله أو شاتمه ، فليقل : إني صائم ، إني صائم .) .

شهر عظيم

حينما كان يهل شهر رمضان كان رسول الله ﷺ ، يخطب فى المسلمين خطبة يبين فيها فضل هذا الشهر المبارك .
فعن سلمان رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ ، فى آخر يوم من شعبان قال :

« يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة ، وقيامه تطوعاً ، من تقرب

فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة وشهر يزداد في رزق المؤمن فيه ، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبة من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء .

قالوا يا رسول الله ، ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم ، فقال رسول الله ﷺ : يعطى الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمر أو على شربة ماء أو مذقة لبن وهو شهر أوله رحمة : وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وعتقه من النار ، فاستكثروا فيه من أربع خصال : خصلتين ترضون بهما ربكم ، وخصلتين لا غناء بكم عنهما ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم .
فشهادة أن لا إله إلا الله ، وتستغفرونه ، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما : فتسألون الله الجنة ، وتعوذون به من النار .
ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظماً^(١) . حتى يدخل الجنة .

رواه ابن خزيمة في صحيحه .
ثم قال : صح الخبر .

(١) أى أن الله سبحانه وتعالى ييسر له دائماً الرأى في سهولة ، فلا يأتي عليه ظرف يكون فيه في أزمة لشدة الظماً .

كل عمل ابن آدم له إلا الصوم

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :
قال الله عز وجل :

كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم ، فإنه لى وأنا أجزى به .
والصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ،
فإن سابه أحد ، أو قاتله ، فليقل : إني صائم إني صائم .
والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب من ريح المسك .
للصائم فرحتان يفرحهما : « إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح
بصومه » رواه البخارى .

الرفث - بفتح الراء والفاء : يطلق ويراد به الجماع . ويطلق ويراد به
الفحش ، ويطلق ويراد به خطاب الرجل المرأة فيما يتعلق بالجماع^(١) .
وقال كثير من العلماء :

إن المراد به فى هذا الحديث الفحش وردىء الكلام .
والجنة بضم الجيم هو ما يحنك . أى يستر ويقيك مما تخاف ، ومعنى
الحديث : أن الصوم يستر صاحبه ، ويحفظه من الوقوع فى المعاصى .

(١) الحديث الشريف والشرح عن كتاب « الترغيب والترهيب » .

وسئل سفيان بن عيينة عن قوله تعالى :
 « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم ، فإنه لى » فقال : إذا كان يوم
 القيامة يحاسب الله عز وجل عبده ، ويؤدى ما عليه من المظالم من سائر
 عمله حتى لا يبقى إلا الصوم فيتحمل الله ما بقى عليه من المظالم ،
 ويدخله بالصوم الجنة .

الصوم لى وأنا أجزى به

قال الشيخ ^(١) ، رحمه الله : روى عن النبي ﷺ ، أنه قال :
 يقول الله تبارك وتعالى : « الصوم لى وأنا أجزى به »
 فإن قال قائل : ما معنى تخصيص الصوم من بين سائر العبادات ،
 وقد علمنا أن جميع الأعمال له ، وهو يجزى به ، فما معنى قوله :
 « الصوم لى وأنا أجزى به » ؟
 فيقال : له معنيان : أحدهما : أن للصوم تخصيصاً من بين سائر
 العبادات المفترضات ، لأن جميع المفترضات حركات جوارح ، يتهيأ
 للخلق أن ينظروا إليه إلا الصوم ، فإنه عبادة بغير حركة الجوارح .
 فمن أجل ذلك قال تعالى : « الصوم لى » .
 والمعنى الآخر فى قوله : « لى » بمعنى أن الصمديّة لى : لأن

(١) صاحب كتاب اللمع فى التصوف .

« الصمد » هو الذى لا جوف له ، ولا يحتاج إلى الطعام والشراب (فمن تخلق بأخلاقى أجزيه مالا يخطر على قلب بشر) .
 وأما معنى قوله : « وأنا أجزي به » . فإن الله تعالى ، وعد على (جميع) فعل الحسنات الثواب المعداد من الواحدة إلى عشر أمثالها (إلى العشرة) إلى السبعائة إلا الصائمين و« الصائمون » : هم الصابرون .

(وقد) قال الله عز وجل :
 (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) ^(١) .
 فخرج الصوم من الحسنات المعدادة وثوابها ، لأن الصوم هو : صبر النفس عن مألوفاتها ، وإمساك الجوارح عن جميع شهواتها ، والصائمون هم الصابرون .

وقد روى فى معنى ذلك عن النبى ﷺ ، أنه قال :
 « إذا صمت فليصم سمعك ، وبصرك ، ولسانك ، ويدك » .
 وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام ، أنه قال :
 « إذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ، فإن شتمه إنسان فليقل :
 إني صائم » .

وصحة الصوم وحسن أدب الصائم فى صومه ، صحة مقاصده ، ومباينة شهواته ، وحفظ جوارحه وصفاء مطعمه ورعاية قلبه ، ودوام

(١) سورة الزمر : آية ١٠ .

ذكره ، وقلة اهتمامه بالمضمون من رزقه ، وقلة ملاحظته لصومه ،
ووجهه من تقصيره ، والاستعانة بالله تعالى على تأديته ، فذلك أدب
الصائم في صومه » .

هل من تائب

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ،
قال :

« إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، فتحت أبواب الجنان فلم يغلق
منها باب واحد الشهر كله ، وغلقت أبواب النار ، فلم يفتح منها باب
الشهر كله ، وتعلمت عتاة الجن ، ونادى مناد من السماء كل ليلة إلى
انفجار الصبح ، يا باغي الخير يعم وأبشر ، ويا باغي الشر أقصر
وأبصر ، هل من مستغفر يغفر له ؟ هل من تائب يتوب الله عليه ؟ هل
من داع يستجاب له ؟ هل من سائل يعطى سؤله ؟
ولله عز وجل عند كل فطر من شهر رمضان كل ليلة عتقاء من النار
ستون ألفاً ، فإذا كان يوم الفطر أعتق الله مثل ما أعتق في جميع الشهر
ثلاثين مرة ستين ألفاً ستين ألفاً » ^(١) .

(١) رواه البيهقي

أبواب الرحمة في شهر رمضان

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :
« إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ،
وصفدت الشياطين » ^(١) وفي رواية لمسلم : فتحت أبواب الرحمة ،
وجلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين .

رواه الترمذى ، وابن ماجه ، وابن خزيمة فى صحيحه ، والبيهقى ،
كلهم من رواية أبى بكر بن عباس عن الأعمش عن أبى صالح عن
أبى هريرة ولفظهم قال :
« إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ، ومردة
الجن » .

وقال ابن خزيمة :
« الشياطين مردة الجن » بغير واد ، « وجلقت أبواب النار فلم يفتح
منها باب ، وفتحت أبواب الجنة ، فلم يغلق منها باب ، وينادى مناد :

(١) رواه البخارى ومسلم .

يا باغى الخير أقبل ، ويا باغى الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار ،
وذلك كل ليلة » ^(١) .

باب الريان

عن سهل بن سعد رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال :
« إن في الجنة بابا يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ،
لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد » ^(٢) .

من لا ترد دعوتهم :

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ،
ودعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ،
ويقول الرب :

وعزنى لأنصرتك ولو بعد حين » .

رواه أحمد في حديث ، والترمذى وحسنه ، وابن خزيمة وابن حبان
في صحيحهما ، والبزار ولفظه :

« ثلاثة حق على الله ألا يرد لهم دعوة : الصائم حتى يفطر ، والمظلوم

(١) رواه النسائي ، والحاكم ، بنحو هذا اللفظ ، وقال الحاكم : صحيح
على شرطهما . « صفدت » بضم الصاد ، وتشديد الفاء : أى شدت بالأغلال .
(٢) رواه البخارى .

حتى يتتصر ، والمسافر حتى يرجع » .

وعن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« احضروا المنبر ، فحضرنا ، فلما ارتقى درجة قال : آمين ، فلما ارتقى

الدرجة الثانية قال : آمين ، فلما ارتقى الدرجة الثالثة ، قال : آمين .

فلما نزل ، قلنا يا رسول الله ! لقد سمعنا منك اليوم . شيئاً ما كنا

نسمعه ، قال :

إن جبريل عليه السلام ، عرض لى فقال :

بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له ، قلت : آمين .

فلما رقيت الثانية قال :

بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك ، فقلت : آمين .

فلما رقيت الثالثة ، قال :

بعد من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما ، فلم يدخلا الجنة ،

قلت : آمين » ^(١) .

صيام رمضان فرض وقيامه سنة :

في رواية للنسائي ، أن رسول الله ﷺ ، قال :

« إن الله فرض صيام رمضان ، وسنت لكم قيامه ، فمن صامه

وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . .

(١) رواه الحاكم ، وقال صحيح الإسناد .

رمضان ومغفرة الذنوب .

لقد كان رسول الله ﷺ ، يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة ثم يقول :
« من قام رمضان إيماناً واحتساباً ، غفر له ما تقدم من ذنبه » (١) .

معنى إيماناً واحتساباً :

قال الخطابي : قوله : « إيماناً واحتساباً » أى نية وعزيمة ، وهو أن يصومه على التصديق ، والرغبة في ثوابه طيبة به نفسه ، غير كاره له ، ولا مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه ، لكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب .
وقال البغوي : قوله : « احتساباً » أى طلباً لوجه الله تعالى وثوابه ، يقال : فلان يحاسب الأخبار ، ويتحسبها : أى يتطلبها .

ومما هو داخل في « إيماناً واحتساباً » :

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال :
« من صام رمضان وعرف حدوده ، وتحفظ مما ينبغى له أن يتحفظ ، كفر ما قبله » (٢) .

(١) رواه البخارى ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى والنسائى

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى

الصيام جنة :

روى عن النبي ﷺ قال :

« الصيام جنة ، وحصن حصين من النار »^(١) .
وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، أن النبي ﷺ قال له :
« ألا أدلك على أبواب الخير؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال :
« الصوم جنة ، والصدقة تطفى الخطيئة . كما يطفى الماء النار » .

من ثمار الصيام والقرآن :

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال :
« الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام :
أى رب * منعتك الطعام والشهوة ، فشفعنى فيه .
ويقول القرآن :

منعتك النوم بالليل ، فشفعنى فيه .

قال : فيشفعان » .

رواه ابن أبي الدنيا فى كتاب الجوع وغيره بإسناد حسن ، والحاكم

وقال : صحيح على شرط مسلم .

رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ، ورجاله محتج بهم فى الصحيح .

(١) رواه أحمد بإسناد حسن

الفصل الثالث

الصيام

شروط ، واجبات ، منيات ،
سنن ، مباحات

شروط الصيام الصحيح

شروط الصيام الصحيح : الإمساك عن إيصال شيء إلى الجوف عمداً ، مع ذكر الصوم ، فيفسد بالأكل والشرب عمداً .
أما إذا أكل أو شرب ناسياً فلا يفسد ذلك صومه .
وكذلك الإمساك عن الناحية الجنسية .

هذه هي شروط الصيام الصحيح من الناحية المادية ، وهي على كل حال تسقط الفرض . بيد أن هذه الشروط مع إسقاطها الفرض . لا تكفي مطلقاً في نظر الصالحين . وللصالحين شروط أخرى ، منها :

١ - غص البصر عما حرم الله تعالى ، يقول الله تعالى :
(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها . .) .
ويقول رسول الله ﷺ :

« النظر سهم مسموم من سهام إبليس لعهه الله ، فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله عز وجل إيماناً يجد حلاوته في قلبه » .

٢ - حفظ اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب ، وقد نهى القرآن

عن كل ذلك ، ويقول رسول الله ﷺ ، فيما رواه الشيخان .
 « إنما الصوم جنة ، فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل ،
 وإن امرؤ قاتله أو شتمه فليقل إني صائم إني صائم » .
 ٣ - كف السمع عن المحرم حتى لا يدخل فيمن قال الله تعالى
 فيهم : « سماعون للكذب » .

وبالجملة كف الجوارح كلها عما حرم الله تعالى .
 وما من شك في أن كف الجوارح عما حرم الله تعالى درجة أرقى من
 درجة مجرد الامتناع عن الأكل والشرب ، والناحية الجنسية .
 أما الدرجة العليا في الصوم : فإنها صوم القلب عما سوى الله
 سبحانه .

يقول أبو سعيد الخراز :
 كل ما فاتك من الله سوى الله يسير ، وكل حظ لك سوى الله قليل .

رمضان وقول الزور :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
 « من لم يدع قول الزور والعمل به ، والجهل ، فليس لله حاجة في
 أن يدع طعامه وشرابه » ^(١) .

الزور هو الباطل كله ، هو اللغو ، هو العبث هو الإثم بجميع ألوانه :

(١) رواه البخاري وأبو داود ، واللفظ له .

إنه الإثم قولاً يتمثل في الغيبة ، والقيمة والكذب ، وغير ذلك من آثام اللسان الذي قالت العرب فيه : « مقتل الرجل بين فكيه » . وهو الإثم فعلاً ويتمثل في كل ما يأتيه الإنسان من أفعال على خلاف السنن الشرعى ، مما نهى الله سبحانه ورسوله عنه .

وإن من الأوصاف الجميلة التي مدح الله سبحانه وتعالى بها عباد الرحمن الصادقين أنهم لا يشهدون الزور ، وإذا كانوا لا يشهدونه ، ولا يشاهدونه ، فإنهم من باب أولى لا يقولونه ولا يفعلونه ولا يأتونه بوجه من الوجوه .

والحديث الشريف يقول صراحة هؤلاء الذين ينغمسون في الزور قولاً ، وينغمسون فيه فعلاً على خلاف ما أحب الله لعباده وما رضىه للمؤمنين . . يقول لهم :

إن الله لا حاجة له في أن يدعوا طعامهم وشرابهم مع إتيانهم ما نهى عنه ، أى أنه لا فائدة لهم من ثواب من قبله ، أو من رضى منه ، أو من حب لهم منه ، فإنهم أخلوا بقواعد الثواب ، ومبادئ الرضا ، وأسس المحبة .

وما من شك في أن الحديث مع هذا دعوة قوية في توجيه المؤمنين إلى الرجوع إلى الله ، مؤتمرين بأمره ، منتهين عما نهى الله عنه ، تعرضاً للرضا الإلهي ، ورجاء في قبول الصوم وكسب الثواب .

صوم يوم الشك :

عن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال :
« من صام اليوم الذى يشك فيه فقد عصى أبا القاسم » ذكره
البخارى تعليقاً ، ووصله الخمسة ، وصححه ابن خزيمة ، وابن حبان اهـ .

تعجيل الفطر :

عن سهل بن سعد رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :
« لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » . متفق عليه اهـ .

السحور :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« تسحروا فإن فى السحور بركة » . متفق عليه اهـ .
إن تأخير السحور مستحب : ذكر ذلك رسول الله ﷺ ، بيد أنه
ينبغي أن يكون السحور قبل الفجر بوقت كاف .
فإذا استيقظ للسحور متأخراً وأدركه أذان الفجر ، والطعام فى فيه ،
فإن الأحوط بالنسبة له أن يمسك عن الطعام إلى نهاية النهار ، ثم يقضى
اليوم بعد رمضان ، وذلك أن المؤذنين عادة يتشبثون من حلول الوقت ،
فيؤخرون الأذان ولو نصف دقيقة .

ومن أفضل العادات في رمضان أن يجعل الإنسان مدفع الإمساك
حداً فاصلاً بين إباحة الأكل والإمساك عنه ، وهو عادة ينطلق قبل
الفجر بثلاث ساعة

من أكل ناسياً :

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
من نسى وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله
وسقاه ^(١) .
وللحاكم : « من أفطر في رمضان ناسياً ، فلا قضاء عليه ولا
كفارة » وهو صحيح . اهـ

القيء :

عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :
من ذرعه ^(٢) القيء فلا قضاء عليه ، ومن استقاء فعليه القضاء .
رواه الخمسة ، وأعله أحمد ، وقواه الدارقطني . اهـ .

(١) متفق عليه .

(٢) ذرعه : أى غلبه .

إذا أصبح جنباً :

عن مالك عن سمى ، مولى أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، أنه سمع أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام يقول : كنت أنا وأبى عند مروان بن الحكم ، وهو أمير المدينة ، فذكر له أن أبا هريرة يقول :

من أصبح جنباً أفطر ذلك اليوم ، فقال مروان : أقسمت عليك يا عبد الرحمن لتذهبن إلى أم المؤمنين عائشة وأم سلمة ، فلتسألنهما عن ذلك ، فذهب عبد الرحمن وذهبت معه ، حتى دخلنا على عائشة فسلم عليها ، ثم قال : يأم المؤمنين ! إنا كنا عند مروان بن الحكم ، فذكر له أن أبا هريرة يقول : من أصبح جنباً أفطر ذلك اليوم ، قالت عائشة :

ليس كما قال أبو هريرة يا عبد الرحمن ، أترغب عما كان رسول الله ﷺ يصنع ؟ فقال عبد الرحمن : لا والله . قالت عائشة : فأشهد على رسول الله ﷺ أنه كان يصبح جنباً من جماع غير احتلام ، ثم يصوم ذلك اليوم .

قال : ثم خرجنا حتى دخلنا على أم سلمة فسألها عن ذلك ، فقالت مثل ما قالت عائشة . قال : فخرجنا حتى جئنا مروان بن الحكم ، فذكر له عبد الرحمن ما قالتا ، فقال مروان : أقسمت عليك يا أبا محمد لتركن

دأبى ، فإنها بالبواب ، فلتذهبن إلى أبى هريرة ، فإنه بأرضه بالعقيق
فلتخبرنه ذلك .

فركب عبد الرحمن ، وركبت معه ، حتى أتينا أبا هريرة فتحدث
معه عبد الرحمن ساعة .

ثم ذكر له ذلك ، فقال له أبو هريرة :
« لا علم لى بذلك ، إنما أخبر فيه مخبر » .

الاتصال الجنسي فى رمضان :

هذا إذا كان الاتصال الجنسي ليلاً ، والله سبحانه وتعالى يقول :
(أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) .

أما إذا كان الاتصال الجنسي فى نهار رمضان ، فإنه محرم تحريماً باتاً .
ومن طريف ما يروى فى هذا ، ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه ،
قال :

جاء رجل إلى النبى ﷺ ، فقال : هلكت يا رسول الله . قال :
وما أهلكك ؟

قال : وقعت على امرأتى فى رمضان ، فقال : هل تجد ما تعتق
رقبة ؟

قال : لا . قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟
قال : لا . قال : فهل تجد ما تطعم ستين مسكيناً ؟ قال : لا . ثم

جلس ، فأتى النبي ﷺ بعرق فيه تمر فقال : تصدق بهذا ، فقال :
أعلى أفقر منا ؟ فما بين لابتها أهل بيت أحوج إليه منا ، فضحك النبي
ﷺ حتى بدت أنيابه ، ثم قال : اذهب فأطعمه أهلك ^(١) .

حكم القبلة في رمضان :

عن مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، أن رجلاً قبل
امراته وهو صائم في رمضان ، فوجد من ذلك وجداً شديداً ، فأرسل
امراته تسأل له عن ذلك ، فدخلت على أم سلمة ، زوج النبي ﷺ ،
فذكرت ذلك لها ، فأخبرتها أم سلمة : أن رسول الله ﷺ ، يقبل وهو
صائم ، فرجعت فأخبرت زوجها بذلك ، فزاده ذلك شراً . وقال : لسنا
مثل رسول الله ﷺ ، الله يحل لرسول الله ﷺ ما شاء . ثم رجعت
امراته إلى أم سلمة فوجدت عندها رسول الله ﷺ . فقال رسول الله
ﷺ :

« ما لهذه المرأة ؟ » فأخبرته أم سلمة ، فقال رسول الله
ﷺ : ألا أخبرتها أني أفعل ذلك ؟ فقالت : قد أخبرتها ، فذهبت
إلى زوجها فأخبرته فزاده ذلك شراً . وقال : لسنا مثل رسول الله ﷺ ،
الله يحل لرسوله ﷺ ما شاء . فغضب رسول الله ﷺ وقال : « والله
إني لأتقاكم لله ، وأعلمكم بمحدوده » .

(١) رواه السبعة ، واللفظ لمسلم .

التشديد في القبلة للصائم :

عن مالك أنه بلغه أن عائشة زوج النبي ﷺ ، كانت إذا ذكرت أن رسول الله ﷺ يقبل وهو صائم ، تقول وأيكم أملك لنفسه من رسول الله ﷺ ؟

قال يحيى : قال مالك : قال هشام بن عروة : قال عروة بن الزبير : لم أر القبلة للصائم تدعو إلى خير .

والرأى الذى نراه هو ما رواه الإمام مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، أن عبد الله بن عباس سئل عن القبلة للصائم ، فأرخص فيها للشيخ ، وكرهها للشاب .

الصيام والسفر :

عن مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أنه كان يسافر في رمضان ، ونسافر معه ، فيصوم عروة ، ونفطر نحن فلا يأمرنا بالصيام . وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنها ، أن رسول الله ﷺ ، خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان ، فصام حتى بلغ كراع العيم ، فصام الناس ، ثم دعا بقدح من ماء فرفعه ، حتى نظر الناس إليه فشرب ، ثم قيل له بعد ذلك : إن بعض الناس قد صام ، فقال : أولئك العصاة ، أولئك العصاة .

وفى لفظ : فليل له :

إن الناس قد شق عليهم الصيام ، وإنما ينتظرون فيما فعلت ، فدعا بقدح من ماء بعد العصر فشرب » (١) .

وعن حمزة بن عمرو الأسلمي رضى الله عنه قال : يا رسول الله ، إني أجد فيّ قوة على الصيام في السفر ، فهل على جناح ؟ فقال رسول الله ﷺ : هي رخصة من الله ، فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » (٢) .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنها قال : رخص للشيخ الكبير أن يفطر ويطعم عن كل يوم مسكيناً ولا قضاء عليه (٣) .

وعن مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن حمزة بن عمرو الأسلمي ، قال لرسول الله ﷺ يا رسول الله ، إني رجل أصوم ، أفأصوم في السفر ؟

فقال له رسول الله ﷺ : إن شئت فصم ، وإن شئت فافطر .

وعن مالك ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك أنه قال :

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم وأصله في المتفق عليه من حديث عائشة أن حمزة بن عمرو سأل .

(٣) رواه الدارقطني والحاكم وصحاحه ا هـ .

سافرنا مع رسول الله ﷺ في رمضان ، فلم يعب الصائم على المفطر ،
ولا المفطر على الصائم .

الوصال في الصيام :

روى الإمام البخارى عن أنس ، رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ
قال :

لا تواصلوا ، قالوا : إنك تواصل . قال : لست كأحد منكم ، إني
أبيت أطعم وأسقى .

وفي رواية لهذا الحديث :

« إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني » .

ويرشدنا هذا الحديث الشريف إلى أن الوصال في الصيام : منهي
عنه .

ولكن بعض الصحابة : حاول الوصال ، تأسيّاً برسول الله صلوات
الله وسلامه عليه ، وألخ في طلب الإذن من رسول الله بذلك ، فأراد
صلوات الله وسلامه عليه : أن يقسو عليهم ليزدجروا وكان ذلك في
رمضان ، فواصل بهم يوماً ، ثم يوماً ، ثم رأوا الهلال ، فقال صلوات
الله وسلامه عليه : « لو تأخر - أعنى الهلال - لزدتكم » أى : لواصل
بهم بعد ذلك يوماً ثالثاً . قال أبو هريرة : وذلك كالتنكيل لهم ، لما أبوا
أن ينتهوا عن الوصال ، الوصال إذن لم يضر لأنه نهى تحريم ، إذا أضر

بالإنسان ونهى كراهية إذا لم يضر لأنه وإن لم يضر، فإنه يبعث في الإنسان فتوراً عن العمل .

على أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أُرخص في الوصال إلى السحر، فعنه صلوات الله وسلامه عليه، أنه قال :-

« لا تواصلوا ، فأياكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر » أى إلى ما قبل الفجر بوقت كاف لتناول الطعام والشراب .

يؤخذ من ذلك : أن الوصال ، خاص بالرسول ، صلوات الله وسلامه عليه .

وأن الترخيص بالوصال فإنما هو إلى السحر فقط .
وأن بعض الصحابة ، رضوان الله عليهم : كانوا يودون أن يواصلوا ولكنهم عدلوا عن ذلك اتباعاً لأمره صلوات الله وسلامه عليه .

وأما الطريقة المثلى : فإنها تعجيل الفطر وتأخير السحور ، كما ورد عن رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، من قوله :
لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور .
والإنسان يمكنه - بالرياضة - أن يواصل ثلاثة أيام ، ولكن ذلك في الإسلام حرام .

من قدم من سفر أو أراده في رمضان :
عن مالك ، أنه بلغه أن عمر بن الخطاب كان إذا كان في سفر في

رمضان فعمل أنه داخل المدينة من أول يومه دخل وهو صائم .
 قال يحيى ، قال مالك : من كان في سفر ، فعلم أنه داخل على أهله
 من أول يومه ، وطلع له الفجر ، قبل أن يدخل ، دخل وهو صائم .
 قال مالك : وإذا أراد أن يخرج في رمضان فطلع له الفجر وهو
 بأرضه ، قبل أن يخرج فإنه يصوم ذلك اليوم .
 قال مالك في الرجل يقدم من سفره وهو مفطر ، وامراته مفطرة ،
 حين طهرت من حيضها في رمضان لزوجها أن يصيبها إن شاء .

سنة أيام من شوال :

عن ثوبان رضى الله عنه مولى رسول الله ﷺ : عن رسول الله ﷺ
 قال :

« من صام ستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة من جاء بالحسنة فله
 عشر أمثالها » .

رواه ابن ماجه والنسائي ولفظه :

جعل الله الحسنة بعشر أمثالها ، فشهرا عشرة أشهر ، وصيام ستة أيام
 بعد الفطر تمام السنة .

وابن خزيمة في صحيحه ، ولفظه - وهو رواية النسائي - قال :
 « صيام شهر رمضان بعشرة من أشهر ، وصيام ستة أيام بشهرين
 فذلك صيام السنة » .

وابن حبان في صحيحه ، ولفظه :
 « من صام رمضان ، وستاً من شوال ، فقد صام السنة » .
 رواه أحمد والبخاري ، والطبراني من حديث جابر ابن عبد الله .
 وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ قال :
 « من مات وعليه صيام ، صام عنه وليه » . متفق عليه .
 وقال يحيى : سمعت مالكا يقول فيمن فرق قضاء رمضان ، فليس
 عليه إعادة وذلك مجزئ عنه ، وأحب ذلك إلى أن يتابعه .

ما يتحلى به الصائم من سلوك :
 يتخذ بعض الناس الصوم تعلقة يتعللون بها في أنواع من السلوك لا
 يحبها الله ورسوله : منها ضيق الخلق الذي يتمثل في الغضب ، فيتشاحن
 الموظف مع زملائه ، والعامل في عمله ، ورب الأسرة في أسرته ، وهو
 خلق يبغضه الله ورسوله ، وقد طلب رجل النصيحة مرة من رسول الله
 ﷺ فقال له : لا « تغضب » . وإن من آثار الصوم الصحيح الصبر ،
 بل إن الصوم نفسه نوع من الصبر . بل هو نصف الصبر على حد تعبير
 رسول الله ﷺ ، فإذا لم يتحل الإنسان بالصبر في رمضان فإن في صيامه
 خللاً .

والصائم الصادق فرح بصومه ، متفائل به ، راجع به المغفرة فإذا
 تفاعل الصائم بصومه ورجا به المغفرة من الله تحلى بحسن الخلق وبمكارم

الأخلاق ، وقد قال رسول الله ﷺ :
« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

بعض ما لا يفطر الصائم :
يقول النبي ﷺ :

إذا توضأ فليستنشق بمنخره الماء ، ولم يميز بين الصائم وغيره .
وقال الحسن :
لابأس بالبعوط للصائم إن لم يصل إلى حلقه ويكتحل .
وقال عطاء :

إن تمضمض ، ثم أفرغ ما في فيه من الماء ، لا يضره إن لم يزدرد
ريقه ، وماذا بقي في فيه ، ولا يمضغ العلك فإذا ازدرد ريق العلك ، لا
أقول : إنه يفطر ، ولكن ينهى عنه ، فإن استنثر ، فدخل الماء في حلقه
لا بأس إن لم يملك .
وقال عطاء :

إن استنثر ، فدخل الماء في حلقه لا بأس إن لم يملك وقال الحسن :
إن دخل حلقه الذباب فلا شيء عليه .
ويقتل الصائم ، وبلى ابن عمر ، رضى الله عنهما ثوباً فألقاه عليه
وهو صائم .
ودخل الشعبي الحمام وهو صائم .

وقال ابن عباس : لا بأس أن يتطعم القدر أو الشيء .
وقال الحسن : لا بأس بالمضمضة والتبرد للصائم .
وقال ابن مسعود : إذا كان صوم أحدكم فليصبح دهيناً مترجلاً .
وقال أنس : إن لي ابن (يشبه البانيو للاستحمام) أتقحم فيه وأنا صائم .
ويذكر عن النبي ﷺ ، أنه استاك وهو صائم .
وقال ابن عمر : يستاك أول النهار وآخره ، ولا يبلغ ريقه .
وقال عطاء : إذا ازدرد ريقه لا أقول يفطر .
وقال ابن سيرين : لا بأس بالسواك الرطب ، قيل : له طعم ؟
قال : والماء له طعم ، وأنت تمضمض به .
ولم ير أنس ، والحسن ، وإبراهيم بالكحل للصائم بأساً .

الفصل الرابع

سلوك الصالحين في شهر رمضان

والصالحون دائماً يتأسون برسول الله ﷺ :
(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم
الآخر وذكر الله كثيراً) .

والتأسي برسول الله ﷺ ، إنما هو اتباع للقرآن ، فلقد كان رسول
الله ﷺ ، الصورة الواقعية للقرآن ، لقد كان خلقه القرآن ، كما قالت
السيدة عائشة رضوان الله عليها .

وشهر رمضان موسم من أسمى المواسم الروحية ، في الاتجاه إلى الله
سبحانه وتعالى وفي الاندماج في عباده الصالحين ، والخطوة الأولى في
هذا الطريق واللبنة الأولى في بناء صرح التقوى ، إنما هي التوبة : إنها
أول قدم في طريق الصلح مع الله ، ولقد دعانا الله سبحانه وتعالى إلى
التوبة في أساليب تأتي تارة رقيقة ، كأرق ما يكون الأسلوب رحيمة
تنبض بالرفقة .

« يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً
فاستغفروني أغفر لكم » ^(١) .

ولقد عبر رسول الله ﷺ ، عن موقف الله تعالى بالنسبة للتائب
بكلمة « الفرح » . إن الله سبحانه وتعالى : يفرح بتوبة عبده المؤمن .

(١) وردت هذه العبارة في حديث قدسي صحيح .

وتارة يدعوننا الله سبحانه وتعالى إلى التوبة في أسلوب رهيب شديد
الرهبة .

وقد جمع بين الرحمة والرهبة في الدعوة إلى التوبة .
(قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن
الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ، وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا
له من قبل أن يأتىكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل
إليكم من ربكم من قبل أن يأتىكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن
تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن
الساخرين) أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين . أو تقول حين
ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين . بلى قد جاءتك آياتى
فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين . ويوم القيامة ترى الذين
كذبوا على الله وجوههم مسودة ، أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين .
وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) (١) .
واختلفت الأساليب فى الدعوة إلى التوبة ، لتناسب مع مختلف
الطبائع والفطر . والصالحون وإن كانوا يتوبون إلى الله تعالى دائماً ،
ويرجعون إليه ، فى السير من أمرهم ، والعظيم منه ، فإنهم يبدعون شهر
رمضان بتجديد العهد مع الله بالتوبة الخالصة النصوح . التوبة التى
تكون فيصلاً حاسماً ، فى حياة الإنسان ، فيستأنف عهداً مع الله كله

(١) سورة الزمر آية : ٥٣ - ٦١

صدق ويبدأ حياة كلها تقوى .

(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب) .
 إن الله سبحانه وتعالى يجعل له مخرجاً من كل ضيق ومن كل أزمة ،
 يفرج همه ، ويكشف كربته ، ويزيل غمه .
 إن كلمة (يجعل له مخرجاً) مطلقة لا يقيدتها قيد ولا تحدّها حدود ،
 وشرطها الأساسى : التقوى ، التقوى بمعناها الصادق ، الصحيح
 المستقيم .

إن الله سبحانه وتعالى بالتقوى ، ييسر له من أمره ما تسر وهو
 سبحانه ، بالتقوى ، يرزقه من حيث لا يحتسب ، يرزقه مادياً ، ويرزقه
 روحياً ، ويرزقه من حيث يدرى ، ويرزقه من حيث لا يدرى .
 إن الصالحين فى ابتداء رمضان يجددون عهدهم مع الله ويلتزمون
 — بتجديد هذا العهد الصادق — التقوى :

وتتألق تقواهم — تأسيساً برسول الله ﷺ فى أمرين :

الأمر الأول :

الإكثار من قراءة القرآن .

والأمر الثانى :

الإكثار من الصدقة .

روى الإمام البخارى والإمام مسلم ، رضى الله عنهما ، عن ابن

عباس رضى الله عنهما قال :

« كان رسول الله ﷺ ، أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ، ﷺ - حين يلقاه جبريل - أجود بالخير من الريح المرسلة ، وفي هذا الحديث الشريف ربط بين رمضان والقرآن وكثرة الصدقة .

١ - القرآن

القرآن هو دستور المسلمين ، إن قراءته عبادة ، والتفكير فيه عبادة ، واتباعه واجب ، وكلما اقترب الإنسان من تحقيق الأخلاق التي رسمها ، كان أقرب من الله ورسوله ، وأحب إلى الله ورسوله .

يجعله الصالحون شعارهم ، ويجعلونه وردهم ، إنه ربيع قلوبهم الدسم ، وهو الرياض التي تتفتح أزهارها لبصيرتهم ، ناضرة يانعة ، إنها تتفتح لهم على الدوام ، فيستمتعون بأريجها العطري ، وجهاها الرائع ، وروعها الجميلة .

ولقد وصفه رسول الله ﷺ ، ونذكر روايتين من هذه الأوصاف .
إحداها هي : ما أسنده أبو بكر محمد بن القاسم ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :

إن هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم إن هذا

القرآن حبل الله ، وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة من تمسك به ، ونجاة من اتبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنة أما أنى لا أقول : ألم حرف ولكن أقول ألف حرف ولام حرف وميم حرف . ولا ألفين أحكم واضعاً إحدى رجله يدع أن يقرأ سورة البقرة ، فإن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة ، وإن أصفر البيوت من الخير البيت الصفر من كتاب الله . أما الثانية : فهى ما أسنده أبو محمد الدارمى السمرقندى فى مسنده عن الحارث عن على رضى الله عنه ، وخرجه الترمذى قال على رضى الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قلت يا رسول الله ! وما المخرج منها ؟ قال كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشعب معه الآراء ، ولا يشعب منه العلماء ، ولا يله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن

عمل به أجر ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم

ولقد علم الصالحون ما رواه الترمذى فى حديث حسن صحيح -

عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :

« من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف وميم حرف » .

وعلم الصالحون ما رواه البخارى رضى الله عنه ، عن عثمان رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .

علم الصالحون ذلك - وفضائل القرآن لا تعد فوطنوا أنفسهم أن

يزيد التجاؤهم إلى القرآن فى شهر رمضان .

والقرآن ذكر ، وهو دعاء ، وهو سؤال لله سبحانه وتعالى يتصل

بالخير والرحمة والمغفرة ، ورسول الله ﷺ يقول : - فيما رواه الترمذى

وحسنه عن أبى سعيد قال - قال رسول الله ﷺ ، يقول الرب تبارك

وتعالى :

« من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى أعطيته أفضل ما أعطى

السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » .

ويجب أن يتحدثوا فى القرآن مع غيرهم ، وأن يتدارسوه مع

الآخرين ، معلمين أو متعلمين ، وذلك تحقيقاً واتباعاً للحديث الشريف

الذى أخرجه الإمام مسلم ، بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ :

« من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن أبطأ به علمه ، لم يسرع به نسبه » .

ولقد وردت أحاديث مختلفة صحيحة وحسنة ، في فضل آيات وسور معينة ، نذكر منها ما يلي :

قلب القرآن :

عن معقل بن يسار رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :
« قلب القرآن يس ، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له ، اقرءوها على موتاكم » ^(١) .

(١) رواه أحمد وأبو داود ، والنسائي ، واللفظ له ، وابن ماجه ، والحاكم ، وصححه .

عروس القرآن :

عن علي (رضي الله عنه) قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« لكل شيء عروس وعروس القرآن (الرحمن) »^(١)

سورة يحيا رسول الله ﷺ :

عن علي (رضي الله عنه) قال : كان رسول الله ﷺ ، يحب هذه
السورة « سبح اسم ربك الأعلى » رواه أحمد .

السبع المثاني :

عن أبي سعيد بن المعلى ، قال : كنت أصلي في المسجد فدعاني النبي
ﷺ ، فلم أجبه (حتى صليت) ثم أتيت ، فقلت : يا رسول الله ! إني
كنت أصلي قال : « ألم يقل الله » (استجيبوا لله وللرسول إذا
دعاكم) ، ثم قال : ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج
من المسجد ؟ فأخذ بيدي ، فلما أردنا أن نخرج قلت : يا رسول الله !
إنك قلت لأعلمك أعظم سورة من القرآن قال : « الحمد لله رب
العالمين » هي السبع المثاني ، والقرآن العظيم الذي أوتيته^(٢) .

(١) من مخطوطة الحاكم

(٢) رواه البخاري

الزهرأوان :

عن أبي أمامة قال : سمعت رسول الله ﷺ :
« اقرءوا القرآن » فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرءوا
الزهرأوين ، البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما
غمامتان ، أو غيايتان ^(١).

أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما ، اقرءوا سورة
البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة ^(٢) .

آيتان من كنز الله الذي تحت العرش :

عن سيدنا رسول الله ﷺ ، قال :
« إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطيتهما من كنزه الذي تحت
العرش ، فتعلموهن وعلموهن نساكم ، فإنها صلاة وقرآن ودعاء » ،
رواه الدارمي مرسلًا .

الملائكة تدنو لسامع سورة البقرة :

عن أبي سعيد الخدري ، أن أسيد بن حضير ، قال :

-
- (١) وهي بالياءين ، ما يكون أدون منها بأكتافه ، وأقرب إلى رأس صاحبها .
(٢) رواه مسلم .

بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت
الفرس فسكت فسكنت ، ثم قرأ فجالت الفرس ، فسكت فسكنت ، ثم
قرأ فجالت وكان ابنه يحب قريباً منها فانصرف فأخره ثم رفع رأسه إلى
السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح ، فلما أصبح حدث النبي ﷺ
فقال :

أو تدرى ما ذاك ؟ قال لا ، قال : تلك الملائكة دنت لصوتك ولو
قرأت لأصبت ينظر إليها الناس لا تتوارى منهم » ^(١).

وتدنو الملائكة لسماع سورة الكهف :

عن البراء قال : كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان
مربوط بشطنين ^(٢) فتغشته سحابة ، فجعلت تدنو وتدنو ، وجعل فرسه
ينفر ^(٣) ، فلما أصبح أتى النبي ﷺ ، فذكر ذلك له ، فقال : تلك
النسكينة ، تنزلت بالقرآن » ^(٤).

(١) متفق عليه .

(٢) الشطن : الحبل الطويل الشديد الفتل .

(٣) في مخطوطة الحاكم : تنفر .

(٤) متفق عليه .

أعظم آية في كتاب الله :

عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : ياأبا المنذر ! أتدرى
أى آية من كتاب الله تعالى معك أعظم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال
ياأبا المنذر ! أتدرى أى آية من كتاب الله تعالى معك أعظم ؟ قلت :
(الله لا إله إلا هو الحى القيوم) قال : فضرب فى صدرى وقال :
لهنك العلم ياأبا المنذر ! ^(١).

نوران :

عن ابن عباس قال : بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي ﷺ
سمع نقيضاً ^(٢) من فوقه ، فرفع رأسه فقال :
هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه
ملك ، فقال :
هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم فقال :
أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك :
فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منها إلا
أعطيته ^(٣).

(٢) نقيضا : أى صوتا

(١) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم .

صفة الرحمن :

عن عائشة : أن النبي ﷺ ، بعث رجلا على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ « قل هو الله أحد » ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال :

سلوه لأى شىء يصنع ذلك ؟ فسألوه فقال :
لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأها ، فقال النبي ﷺ :
« أخبروه أن الله يحبه » ^(١) .

سورة تشفع لصاحبها :

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :
إن سورة فى القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى :
« تبارك الذى بيده الملك » .

رواه أحمد والترمذى وأبو داود والمنسائى ، وابن ماجه ، وإسناده

حسن .

سورتان يقرأهما رسول الله ﷺ قبل نومه :

عن جابر أن النبي ﷺ ، كان لا ينام حتى يقرأ (آلم

(١) متفق عليه .

تنزيل) . و (تبارك الذى بيده الملك) (١) .

المعوذتان :

عن عقبة بن عامر : بينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ ، بين الجحفة ، والأبواء ، إذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة ، فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بـ (أعوذ برب القلق) و (أعوذ برب الناس) ويقول يا عقبة ! تعوذ بهما فما تعوذ بمثلها . (٢) رواه أبو داود .

ويعد :

فإن رسول الله ﷺ يقول : فيما رواه الحاكم وصححه عن عبد الله ابن عمر ، رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يوحى إليه ، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ، ولا يجهل مع من جهل ، وفي جوفه كلام الله » (٣) .

(١) رواه أحمد والترمذى والدرامى . وقال الترمذى : هذا حديث صحيح .

(٢) إسناده صحيح .

(٣) رواه الحاكم وإسناده صحيح .

٢ - الجود

« كان رسول الله ﷺ ، أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ﷺ ، حين يلقاه جبريل ، أجود بالخير من الريح المرسلة » .

وفي هذا الحديث الشريف ربط بين رمضان والقرآن وكثرة الصدقة . والواقع ، أن كثرة الصدقة في رمضان : هي الدليل الواضح ، على أن الصوم وقراءة القرآن قد أثمر الثمرة المرجوة . أما هذا الذي يصوم رمضان ، ويتلو كتاب الله ، وهو رحمة ونور ، فلا يشرق قلبه بنور الرحمة ، ولا تتألق نفسه بضياء الكرم ، ولم يوق شح نفسه ، فإن ذلك ، إذا دل على شيء ، فإنما يدل على أن وسائل النور هذه لم تتغلغل في نفسه ، فتصل إلى أعماقها مختلطة بلحمه ودمه ، فتقوده إلى الجود والإحسان . (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) .

وشهر رمضان : من المواسم التي يتضوع فيها الإيمان ويشرق في النفس ، فتتذكر عهدا مع الله : عهد الإيمان ، فتجود بالنفس في

سبيله ، إذا لزم الأمر ، والجود بالنفس أسمى غاية الجود ، وتجوّد بالمال في سبيله مستبشرة بالوفاء بالعهد في صورته الهيئة السمحة : إن الصدقة برهان ، على جد أخبار رسول الله ﷺ .

أما الشح المطاع ، فإنه من الثلاث المهلكات ، يقول الله تعالى :
(ومن يوق شح نفسه ، فأولئك هم المفلحون) .

ويقول سبحانه :

(ولا يحسن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله ، هو خيراً لهم ، بل هو شرّ لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ، والله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير) .

على أن الرجل الذي يتصدق بصدقة ، فلم تعلم شماله ما أعطته يمينه ، داخل نطاق السبعة الذين يظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله .
كان ، صلوات الله وسلامه عليه ، يكثر من تلاوة القرآن ، وكان جواداً ، حتى إذا ما أتت العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل كله ، وإذا كان يجتهد في رمضان في العبادات مالا يجتهد في غيره ، فإنه في العشر الأواخر منه ، كان يجتهد مالا يجتهد في غيرها .

وبعد :

فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله

إلا الطيب ، فإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يريها لصاحبها كما يري أحدكم
قلوه ، حتى تكون مثل الجبل » (١) .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« ما نقصت صدقة من مال (شيئاً) ، وما زاد الله عبداً يعفو إلا
عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » (٢) .

وعن أبى موسى الأشعرى ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« عن كل مسلم صدقة . قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : فليعمل بيده
فينفع نفسه ، ويتصدق . قالوا : فإن لم يستطع ؟ - أو لم يفعل ؟ -
قال : فيعين ذا الحاجة الملهوف . قالوا : فإن لم يفعل ؟ قال : « فيأمر
بالخير » قالوا : فإن لم يفعل ؟ قال : « فيمسك عن الشر » ، فإنه له
صدقة » (٣) .

وعن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ :

إن بكل تسيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة
صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر
صدقة ، وفي بضع أحدكم صدقة . قالوا : يا رسول الله : أيأتى أحدنا
شهوته ، ويكون له فيها أجر ؟ قال : « أرأيتم لو وضعها في حرام ، أكان
عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال ، كان له أجر » (٤) .

(١) متفق عليه .

(٣) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم .

(٤) رواه مسلم .

وعن أنس رضى الله عنه ، قال قال : رسول الله ﷺ :
 « ما من مسلم يغرس غرساً ، أو يزرع زرعاً ، فيأكل منه إنسان أو
 طير أو بهيمة ، إلا كانت له صدقة » (١) .

٣ - قول معروف ومغفرة

يقول الله تعالى في سورة البقرة (قول معروف ومغفرة خير من صدقة
 يتبعها أذى ، والله غنى حلیم) . وردت هذه الآية الكريمة ضمن آيات
 عدة تحث على الصدقة وتذكر آدابها وثمراتها ، وقد بدأ الله سبحانه ،
 هذه الآيات بذكر ثمرات التصديق في سبيل الله : ترغيباً في الصدقة من
 أول الأمر فمثل الذين ينفقون أموالهم في سبيله سبحانه ، كمثل حبة
 غرست في الأرض فنبتت وأينعت وأثمرت سبع سنابل ، ممتلئة موفورة في
 كل سنبل مائة حبة ، ويشير الله بذلك إلى أجر المتصدق ومقدار ما يخلفه
 الله عليه جزاء صدقته ، هذا الأجر الذي يتضاعف فيصل إلى سبعمائة
 مثل ولكنه لا يقتصر على ذلك فإنه بمقدار إخلاص المتصدق يتضاعف
 الله له الأجر إذا شاء وإن فضل الله لأوسع من أن يضيق بمنح الأضعاف
 المضاعفة وهو سبحانه ، عليم بمن يستحق ذلك من المخلصين .
 وبعد ذلك تتعرض الآيات لبعض شروط الصدقة المقبولة . فمن

(١) متفق عليه .

ذلك أنه سبحانه ، لا يقبلها من هؤلاء الذين يتبعونها بالمن . والمن أن يعتد المتصدق ويفتخر بإحسانه على من أحسن إليه فيقول مثلاً : أنا أحسنت إليه في كذا ، وفي كذا ، وأنا فعلت معه هذا وذلك . يريد بذلك إظهار فضله عليه . ومن ذلك أيضاً أنه سبحانه ، لا يقبلها ممن يتبعها بالأذى .

والأذى أن يتناول المنفق على من أنفق عليه بالكلام أو بغيره . أما الذين لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى فإن أجرهم عند الله سبحانه ، جزيل . ومن أجل إبعاد المتصدقين عن أن يقعوا فيما يتصل بالمن والأذى من قرب . أو من بعد ، أفاض سلفنا الصالح في الحديث عما يمكن أن يكون مناً أو أذى فقالوا : المن أن يستخدمه بالعطاء والأذى أن يعيره بالفقر ، وقالوا المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه ، والأذى أن ينتهره ويوبخه بالمسألة ، وقد قال الإمام الفقيه سفيان الثوري من من فسدت صدقته ، فقل له كيف المن ؟ فقال : أن يذكره ويتحدث به أى يذكر صدقته ويتحدث بها .

ولقد كان سلفنا الصالح دقيقاً في هذه المعاني حتى لقد قال زيد بن أسلم رضي الله عنه : إذا أعطيت أحداً شيئاً وظننت أن سلامك يثقل عليه فكف سلامك عنه . على أن الكلام الحسن والرد الجميل على السائل ، والبشاشة في وجهه والتجاوز عن إلحافه ومغفرة ذلك له ، وكلها أمور سهلة التحقيق خير عند الله وأفضل من صدقة يتبعها من أو

أذى للسائل . والدين الإسلامى دين يحافظ على كرامة الفرد محافظة تامة مادام الفرد محافظاً على حدود الدين وآدابه لا يجاوزها . وهو وإن حث على الصدقة والإنفاق فليس معنى ذلك الحط من قيمة الفقير . بل إنه مما يؤثر عن رسول الله ﷺ أنه قال : ما الذى أعطى من سعة بأفضل أجراً من الذى يقبل من حاجة .

ويروى أيضاً أنه قال ما معناه : إن الصدقة تقع فى يد الله قبل أن تقع فى يد الفقير . على أن الصدقة فى الجوى الإسلامى إنما تفيد المتصدق أكثر مما تفيد الآخذ ذلك أن فائدها للآخذ تكاد تكون فائدة ، مادية وحسب . إنها بالنسبة له لا تعدو أن تكون علاجاً للجوع أما بالنسبة للمعطى فإنها تفيده فى الدنيا ، وتفيده فى الآخرة . أما فائدها فى الدنيا فإن الله سبحانه يخلف عليه لا بالمثل فحسب بل بأضعاف مضاعفة . ويقول الله تعالى :

(وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه) ، والصدقة دواء من المرض يقول صلوات الله عليه « داووا مرضاكم بالصدقات » . ويقول صلوات الله عليه فى إجمال ، وفى شمول : الصدقة تسد سبعين باباً من الشر . أما فائدة الصدقة فى الآخرة فإنها كما يقول صلوات الله عليه : « تطفىئ الحطيشة كما يطفىء الماء النار » . ويقول صلوات الله عليه : « اتقوا النار ولو بشق ثمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة » . ومن أجل فائدها دنيا وأخرى كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم عندهم شعور مرهف ، وإحساس

دقيق ، واندفاع إلى الخير في صورة الصدقة ، فلقد تصدقت عائشة رضوان الله عليها ، بخمسين ألفاً وإن ثيابها لمرقعة . ولقد كانت رضوان الله عليها ، كغيرها من فضليات ذاك العهد الكريم إذا أرسلت صدقة إلى فقير قالت لمن ترسله بالصدقة : احفظ ما يدعوه ثم كانت ترد عليه مثل قوله فتدعوه له بمثل ما دعاها وتقول هذا بذلك حتى تخلص لنا صدقتنا ، وكانت لا تتوقع الدعاء لأنه شبه المكافأة وكانت تقابل الدعاء بمثله ولقد عرفوا رضوان الله عليهم قيمة الصدقة عند الله ، وقيمتها في سبيل القرب منه سبحانه . يقول سيدنا عمر بن عبد العزيز واصفاً فضل العبادات في التقريب من الله : الصلاة تبلغك نصف الطريق ، والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه ، عرفوا ذلك فتنافسوا في البذل والإنفاق والتزموا حدود الآداب التي يحبها الله سبحانه من المنفق ، وذلك أن يعتقدوا أن ثلث فقر فضلاً عليهم في تطهير أموالهم ، وفي تزكية نفوسهم ، وفي وضعهم موضع القبول والرضا من الله سبحانه وتعالى فابتعدوا كل البعد عن إيذاء الفقراء على أى وضع من الأوضاع ، وإذا لم يكن عندهم ما يهدونه إلى الفقير قالوا له قولاً معروفاً ، وإذا ألحف غفروا له إلحافه ، وإذا فاه ببعض ألقاظ لما يجد من الضيق الذي يحيط به عفو عنه .

وبعد :

فإن أسلافنا ممن أثار الله بصائرهم كانوا يتبعون الهدى الإسلامى في أموالهم .

إن هذه الأموال اشتراها الله منا في عقد الإيمان بضمن هو الجنة :
(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ، وأموالهم بأن لهم الجنة) ، فالمال
مال الله والله سبحانه استخلفنا عليه ثم أمرنا بأن ننفق منه في سبيله وعلى
عِياله أى الفقراء مما استخلفنا فيه :
(وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) .
وهو سبحانه المعطى المال فالفضل منه وإليه ولو شاء لأغنى الفقراء .
ولكنه سبحانه فتح أمام الأغنياء بالصدقة باباً هو الصدق في الإيمان حتى
تكمل نفوسهم وتزكو فيرضى عنهم ويدخلهم في رحاب رحمته
ورضوانه .

الفصل الخامس

الذكر والدعاء في شهر رمضان

١ - في الذكر

إن شهر رمضان موسم من أنسب المواسم - إن لم يكن أنسبها -
للذكر ، ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى من حكمة فرضه : التقوى كما قال
تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) .

وختم الله سبحانه آيات الصيام بقوله :

(كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) .

خو لقد ورد الأمر بالتقوى كثيراً في القرآن الكريم وفي السنة النبوية
الشريفة . يقول تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ) .

ولقد سئل الصحابي الجليل أبي بن كعب عن التقوى ، فقال
للسائل :

أما سلكت طريقاً ذا شوك ؟

قال : بلى

قال : فما عملت ؟

قال : شمرت واجتهدت

قال : فذلك التقوى

أى أن التقوى تشمير واجتهاد فى الطاعات ، وحذر وتحر واتقاء لكل ما لا يرضى الله ورسوله ، إنها التزام النهج الربانى فى كل ما يأتى الإنسان وفى كل ما يدع ، إنها التزام ما رسم الله فى القول والصمت ، فى الغضب والرضا ، فى الغنى والفقر ، فى الصحة والمرض ، فى الحركة والسكون .

وقد فرض الله سبحانه وتعالى الصوم ليحقق الإنسان التقوى ويتحقق بها .

فإذا التزم الإنسان التقوى ، فإن الله سبحانه وتعالى يجعل له من كل ضيق فرجاً ، ومن كل هم مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، يقول سبحانه :

(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب) (١) .

وإن مما يعين على التقوى وهو فى الوقت نفسه من ثمار التقوى : الذكر .

وقد حثنا الله سبحانه على الذكر فى أسلوب أمر ، يقول سبحانه :
(يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً) .

(١) سورة الطلاق : آية ، ٣ .

وقال :

(واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ^(١) ولا تكن من الغافلين) .

وحثنا سبحانه على الذكر في أسلوب أخذ ، يقول سبحانه :
(فاذكروني أذكركم) .

ولقد أخرج الإمام البخاري ، رضى الله عنه ، من حديث قتادة ، عن رسول الله ﷺ ، فيما يرويه عن ربه قال : قال الله عز وجل :
(يا ابن آدم ، إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي ، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منه ، وإن دنوت مني شبراً دنوت منك ذراعاً ، وإن دنوت مني ذراعاً دنوت منك باعاً ، وإن أتيتني تمشى أتيتك هرولة) .

ومن السبعة الذين يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله :
رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من خشية الله .

وروى البيهقي في الشعب من حديث عمر بن الخطاب :
قال الله عز وجل « من شغله ذكرى عن مسألي ، أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » .

وقال رسول الله ﷺ ، فيما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة :

(١) الآصال جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب .

« ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عز وجل ، إلا حفت بهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده » .
 وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
 يقول الله : « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » ^(١) .
 وعن معاذ بن أنس رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ :
 قال الله جل ذكره : « لا يذكركم عبد في نفسه إلا ذكرته في ملأ من ملائكتي ، ولا يذكركم في ملأ إلا ذكرته في الملأ الأعلى » ^(٢) .
 وعن عبد الله بن بسر رضى الله عنه ، أن رجلاً قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به ، قال :
 « لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله » ^(٣) .
 وعن مالك بن يخامر أن معاذ بن جبل ، رضى الله عنه ، قال لهم :

(١) رواه البخارى ومسلم ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، ورواه أحمد بنحوه بإسناد صحيح ، وزاد في آخره قال قتادة : « والله أسرع بالمغفرة » .
 (٢) رواه الطبرانى بإسناد حسن .
 (٣) رواه الترمذى واللفظ له وقال : حديث حسن غريب وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد .

إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ ، أن قلت :
أى الأعمال أحب إلى الله ؟ قال : « أن تموت ولسانك رطب من
ذكر الله » ^(١) .

وعن أبي موسى رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :
« مثل الذى يذكر الله ، والذى لا يذكر الله ، مثل الحى
والميت » ^(٢) .

وعن أبي هريرة ، رضى الله عنه ، قال :
كان رسول الله ﷺ ، يسير فى طريق مكة ، فرعى جبل يقال
له جمدان ، فقال :

« سيروا هذا جمدان ، سبق المغردون »

قالوا : وما المغردون يا رسول الله ؟

قال : « الذاكرون الله كثيرا » ^(٣) .

وعن أم أنس رضى الله عنها قالت : يا رسول الله أوصنى . قال :
« اهجرى المعاصى ، فإنها أفضل الهجرة ، وحافظى على الفرائض ،

(١) رواه ابن أبى الدنيا والصيرافى ، واللفظ له ، والبراز إلا أنه قال : أخبرنى
بأفضل الأعمال ، وأقربها إلى الله ، وابن حبان فى صحيحه .

(٢) رواه البخارى ومسلم ، إلا أنه قال : « مثل البيت الذى يذكر الله فيه » .

(٣) رواه مسلم واللفظ له ، والترمذى . ولفظ : يا رسول الله ، وما

المغردون ؟

فإنها أفضل الجهاد ، وأكثرى من ذكر الله ، فإنك لا تأتين الله بشيء أحب إليه من كثرة ذكره » ^(١) .

وفى رواية لها عن أم أنس :

« واذكرى الله كثيراً ، فإنه أحب الأعمال إلى الله أن تلقاه بها » ^(٢)

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ، أن رسول الله ، ﷺ قال :
« إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » .

قالوا : وما رياض الجنة ؟

قال : « خلق الذكر » .

وعن أبي هريرة ، رضى الله عنه أن رسول الله ، ﷺ ، قال :
من جلس مجلساً أكثر فيه لغطه ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك :
سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب
إليك ، إلا غفر له ما كان فى مجلسه — رواه : أبو داود والترمذى .
وأفضل الذكر إنما هو التعبد بتلاوة القرآن ، ولقد كان الصحابة
رضوان الله عليهم يكثرّون من تلاوته تعبداً به وكانوا يقسمونه أقساماً :

(١) رواه الطبرانى بإسناد جيد .

(٢) قال الطبرانى : أم أنس هذه يعنى الثانية — ليست أم أنس بن مالك .

● لقد كان القرآن لهم حزباً :

وأول^(١) ما يرجع إليه في التقديرات قول رسول الله ﷺ « من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه » وذلك لأن الزيادة عليه تمنعه الترتيل ، وقد قالت عائشة رضى الله عنها لما سمعت رجلاً يهذر القرآن هذراً ، إن هذا ما قرأ القرآن ولا سكت وأمر النبي ﷺ عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن يختم القرآن في كل سبع « وكذلك كان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم يختمون القرآن في كل جمعة : كعثمان وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبي بن كعب رضى الله عنهم . أما من ختم في الأسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة أحزاب ، فقد حزب الصحابة رضى الله عنهم القرآن أحزاباً ، فروى أن عثمان رضى الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائة ، وليلة السبت بالأنعام إلى هود ، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم ، وليلة الاثنين بطله إلى طسم موسى وفرعون ، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص ، وليلة الأربعاء ببتزير إلى الرحمن ، ويختم ليلة الخميس .

وقيل أحزاب القرآن سبعة . فالحزب الأول ثلاث سور ، والحزب الثاني خمس سور ، والحزب الثالث سبع سور ، والحزب الرابع تسع سور ، والخامس إحدى عشرة سورة ، والسادس ثلاث عشرة سورة ،

(١) عن إحياء علوم الدين

والسابع المفصل من ق إلى آخره .

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يضعون أمام أعينهم قول رسول الله ﷺ :

من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول «الم» حرف ، ولكن : ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف ^(١) .

وقول رسول الله ﷺ :

لا حسد إلا على اثنين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله القرآن فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار ^(٢) .

ولقد وردت الآثار في الحث على سور وآيات معينة ونورده هنا بعض ذلك ليكون كنموذج فقط . وذلك أننا توسعنا في الموضوع في كتابنا « العبادة » ونورده أيضاً ليكون فيه ترغيباً في حفظ بعض السور القرآنية لمن لم يحفظ شيئاً من القرآن .

(١) رواه الترمذى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) رواه البخارى ومسلم ، ومعنى الحسد هنا : الغبطة .

● الفاتحة :

أما الفاتحة فإن لها عن كل اسم من أسمائها نصيباً ، إنها الفاتحة بتوفيق الله لكل شيء مغلق ، وهي الفاتحة لكل باب مقفل .

إنها : فاتحة الكتاب ، وفاتحة القرآن ، وهي أم الكتاب ، وأم القرآن .

ومن أسمائها : الكثر ، الواقية ، الكافية ، الأساس ، سورة الحمد ، سورة الشكر ، سورة الدعاء ، سورة المناجاة ، سورة التفويض .

ومن أسمائها : الرقية ، الشفاء ، الشافية ، النور ، القرآن العظيم ، السبع المثاني . وكل هذه الأسماء إنما هي شرح لبعض ما تحويه سورة الفاتحة من معان ولبعض آثارها النافعة . ولقد قال العلماء : إنها تحوى مجملاً ما حواه القرآن مفصلاً ومن أجل ذلك سميت أم القرآن ، ولقد روى عن سيدنا علي أنه قال ما معناه ، لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً في معاني الفاتحة .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب ما تقرأ في الصلاة ؟ : فقرأ أم القرآن ، فقال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده ، ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلاً ، وإنها سبع من المثاني ، والقرآن العظيم الذي أعطيته » . رواه

الترمذى ، ورواه الدارمى من قوله : ما أنزلت ، ولم يذكر أبى بن كعب ، وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح .
وعن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذى يقرأ فيه سورة البقرة » رواه مسلم .

وعن جابر بن نفير « رضى الله عنه » أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطيتهما من كتبه الذى تحت العرش فتعلموهن وعلموهن نساءكم ، فإنها صلاة وقرآن ودعاء » . رواه الدرامى مرسلا .

وعن جابر أن النبى ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ : « ألم تنزيل » وتبارك الذى بيده الملك » . رواه أحمد ، والترمذى والدارمى . وقال الترمذى : هذا حديث صحيح .

وعن على ، رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ ، يحب هذه السورة ، « سبح اسم ربك الأعلى » رواه أحمد .

وعن عروة بن نوفل عن أبيه : أنه قال يا رسول الله : علمنى شيئا أقوله إذا أويت إلى فراشى . فقال : « اقرأ : قل يا أيها الكافرون » فإنها براءة من الشرك » . رواه الترمذى .

وعن عقبة بن عامر ، قال : بينا أنا أسير مع رسول الله ﷺ بين الجحفة والأبواء إذ غشيتنا ريح مظلمة شديدة فجعل رسول الله ﷺ

يتعوذ به « أعوذ برب الفلق » و « أعوذ برب الناس » ويقول : يا عقبة
تعوذ بهما ، فما تعوذ متعوذ بمثلها » رواه أبو داود .

● ومن الذكر الاستغفار :

لقد كان من دعاء رسول الله ﷺ :

« اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري . اللهم اغفر لي
هزلي وجهدي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي . اللهم اغفر لي ما
قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به مني ،
أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير » .

ونعود مرة أخرى إلى التوبة في صورة ثانية من صورها ، أو في زاوية
من أهم زواياها هي الاستغفار .

يروى علقمة ويروى الأسود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
أنه قال : في كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنّب عبد ذنباً فقرأهما واستغفر
الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له :

(والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم
يعلمون) ^(١)

(١) سورة آل عمران : آية ١٥٣

وقوله عز وجل :

(ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً
رحيماً) .

ولقد قال ﷺ : في شأن الاستغفار الخالص :

« من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجاً ،
ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب » .

وهذا الحديث الشريف يسير في انسجام مع قوله تعالى :

(استغفروا ربكم إنه كان غفاراً . يرسل السماء عليكم مدراراً ،
ويعددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم أنهاراً) .

وقوله تعالى على لسان نبي الله هود :

(ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً
ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) (١) .

والاستغفار مستحب في كل الأوقات ، وإن لم يكن ذنب ، يقول
الله تعالى في إطلاق لا تحديد فيه :

(فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) .

ومع هذا الإطلاق العام فإن الله سبحانه وتعالى ذكر الأسحار
باعتبارها . من الأوقات التي يستغفر فيها المتقون بقوله سبحانه :
(وبالأسحار هم يستغفرون) . ومن أجل ذلك فإن الذين يستيقظون في

(١) سورة هود : آية ٥٢

ثلث الليل الأخير ، يحرصون على انتهاز فرصة نزول ربنا إلى سماء الدنيا منادياً ، ألا هل من مستغفر فأغفر له ، ألا هل من تائب فأتوب عليه ، ألا هل من سائل فأعطيه . . فيأخذون في الاستغفار . وسيد الاستغفار هو كما أخبر الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه :

« اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لى : فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .
ويروى الإمام الغزالي عن بعض العلماء أنه قال :
« العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحها إلا الاستغفار والحمد » .

ويروى عن قتادة رحمه الله قوله :
« القرآن يدلکم على دائکم ودوائکم ، أما داؤکم فالذنوب وأما دواؤکم فالاستغفار » .

● التهليل :

والتهليل هو الذكر بلا إله إلا الله .
وما وصفت به كلمة : لا إله إلا الله أنها :
« كلمة التوحيد ، وهى كلمة الإخلاص ، وهى كلمة التقوى ، وهى الكلمة الطيبة ، وهى دعوة الحق ، وهى العروة الوثقى وهى ثمن

الجنة» (١).

وقد روى الترمذى بسنده عن رسول الله ﷺ ، أنه قال :
 « خير ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك
 له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » .
 وقد أخرج الإمامان : البخارى ومسلم ، رضى الله عنهما من حديث
 أبى هريرة ، نضر الله وجهه ، أن رسول الله ﷺ قال :
 « من قال لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله
 الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، مائة مرة ، كانت له عدل عشر
 رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً
 من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا
 أحد عمل أكثر من ذلك » .
 والمعنى فى الحديث الشريف أن من قال ذلك فى إخلاص مخلص
 وفى اتجاه إلى الله سبحانه لا يشوبه شرك .

● التسبيح والتحميد والتكبير والحرقة :

يقول الله تعالى :

(وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ومن الليل
 فسبحه وأدبار السجود) (٢)

(٢) سورة ق - آية : ٣٩ - ٤٠ .

(١) إحياء علوم الدين

ويقول تعالى :

(وسبح بحمد ربك حين تقوم ، ومن الليل فسبحه وإدبار
النجوم) ^(١)

ويقول جل شأنه :

(فسبح بحمد ربك واستغفره ، إنه كان تواباً) ^(٢) .
وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى
الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » ^(٣) .
وعن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله ؟ قلت : يا رسول الله أخبرني
بأحب الكلام إلى الله فقال :

« إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده » ^(٤) .
وعن جويرية رضى الله عنها : أن النبي ﷺ ، خرج من عندها ،
ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة ، فقال : مازلت على الحال التى
فارقتك عليها ؟ قالت : نعم

(١) سورة النصر - آية : ٣ .

(٢) سورة الطور - آية : ٤٨ ، ٤٩

(٣) رواه البخارى ومسلم

(٤) رواه مسلم ، والنسائى ، والترمذى

قال النبي ﷺ :

لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات ، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن :

« سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته » (١) .

وإن من الصيغ المباركة الجامعة التي تؤخذ من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والتي جربها الكثير من الصالحين فوجدوا لها نوراً وبركة ، ما يلي : « سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله » .
وسواء أكنّا بصدد الاستغفار أم غيره من التهليل والتسبيح إلخ فالمطلوب تكرارها حتى ينفعل بها الإنسان ويتجاوب معها .

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« استكثروا من الباقيات الصالحات » قيل : وما هن يا رسول الله ؟

قال :

« التكبير ، والتهليل والتسبيح ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » (٢) .

إذا حدثتكم بحديث ، أتيناكم بتصديق ذلك في كتاب الله : إن العبد إذا قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله إلا الله ، والله أكبر ،

(١) رواه مسلم ، والنسائي ، وابن ماجه ، والترمذى .

(٢) رواه أحمد وأبو يعلى والنسائي

وتبارك الله ، قبض عليهن ملك فضمهن تحت جناحه ، وصعد بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقاتلهن ، حتى يحيا بهن وجه الرحمن ، ثم تلا عبد الله :

« إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » (١) .

وعن أبي موسى رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال له :

« قل لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كثر من كنوز الجنة » (٢) .

وعن أبي ذر رضى الله عنه قال : كنت أمشي خلف النبي ﷺ ،

فقال لى :

يا أبا ذر ، ألا أدلك على كثر من كنوز الجنة ؟ قلت : بلى . قال :

« لا حول ولا قوة إلا بالله » (٣) .

ومن الذكر الصلاة على النبي ﷺ .

يقول الله تعالى :

(إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه

وسلموا تسليماً) .

ولقد روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص

رضى الله عنها أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

(١) رواه الحاكم ، وقال صحيح الإسناد

(٢) رواه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٣) رواه ابن ماجه ، وابن أبي الدنيا ، وابن حبان فى صحيحه .

« من صلى على صلاة ، صلى الله عليه بها عشرًا » .
وعن ابن مسعود رضى الله عنه - فيما رواه الترمذى وحسنه - أن
رسول الله ﷺ قال :

« أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة » .
وروى الأئمة : أحمد والترمذى والحاكم بسندهم عن أبى الدرداء
رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :
« أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة ، فإنه مشهود تشهده
الملائكة ، وإن أحداً لن يصلى على إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ
منها » .

قال قلت : وبعد الموت ؟ قال :
إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام .

ومن أفضل صيغ الصلاة على النبي ﷺ : الصيغة التى يقرؤها
الإنسان فى التشهد فى الصلاة . وصيغ الصلاة على رسول الله ﷺ
كثيرة ، ويسعدنى هنا أن أذكر الصيغة التى أضاءت حروفها وتلاآت
والتي ذكرت ظروفها فى كتاب « المدرسة الشاذلية » وهى لتفريج
الكرب :

« اللهم صل صلاة جلال ، وسلم سلام جمال على حضرة حبيبك
سيدنا محمد ، واغشه اللهم بنورك كما غشيتته سحابة التجليات ، فنظر إلى

وجهك الكريم ، وبحقيقة الحقائق كلم مولاه العظيم الذى أعاده من كل سوء .

اللهم فرج كربى كما وعدت :
(أمن يجب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) .
وعلى آله وصحبه آمين .

٢ - فى الدعاء

إن القرآن الكريم يذكر لنا مجموعة من الأدعية تتناسب مع ظروف الحياة المختلفة ، فهو مثلاً يحدثنا عن صورة المؤمنين فى الحروب سواء فيما يتعلق بالفعل أو بالقول وبين لنا النتائج التى رتبها سبحانه على موقفهم ، فيقول تعالى :

(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين) .
(وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا ، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة . والله يحب المحسنين) ^(١) .
ويعلمنا الله سبحانه وتعالى ما يقال من دعاء عند نزغ الشيطان ،

(١) آل عمران الآيات : ١٤٦ - ١٤٨ .

فيقول سبحانه :

(وإما يترغتك من الشيطان نزع فاستعذ بالله إنه هو السميع
العليم) .

ويقول في ذلك سبحانه :

(وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن
يحضروني) .

ولقد أخذ كثير من الناس يتدبرون القرآن في مواطن الدعاء ،
فاكتشفوا أسراراً من أسرار الدعاء ، صرحوا ببعضها وتركوا لغيرهم أن
يتدبر ويكتشف .

ومن هؤلاء الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه ، الذي يقول متدبراً
للقرآن ومستتجاً منه : عجبت لأربع كيف يغفلون عن أربع :

١ - عجبت لمن ابتلى بالخوف كيف يغفل عن :

« حسبنا الله ونعم الوكيل » .

والله سبحانه وتعالى يقول :

(فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) .

وأصل هذه القصة معروف :

يروى ابن هشام بخصوص موقف المسلمين في أحد بعد المعركة ثانی
يوم فيها قال :

مر بأبي سفيان - وكان حينئذ قائد المشركين - ركب من

عبد القيس ، فقال لهم أبو سفيان : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ، قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمدا رسالة أرسلكم بها إليه ، وأحمل لكل فى مقابل ذلك زيباً بعكاز إذا وافيتونا ؟ قالوا : نعم .

قال : إذا وافيت محمداً فأخبروه أنا قد جمعنا المسير إليه ، وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم . ومرت الركب برسول الله ﷺ ، وهو بمحراء الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سفيان وأصحابه ، فكان رد الفعل عند رسول الله ﷺ ، وأصحابه ما صوره الله تعالى بقوله :

(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم ، فاخشوهم فزادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) . ويقول الإمام جعفر :

٢ - وعجبت لمن ابتلى بمكر الناس به كيف يغفل عن :
(وأفوض أمرى إلى الله ، إن الله بصير بالعباد) .
والله سبحانه وتعالى يقول :

(فوقاه الله سيئات ما مكروا) .

وهذه القصة هى قصة مؤمن آل فرعون .

لقد كان فى آل فرعون رجل مؤمن يكتم إيمانه ، فلما قال فرعون :
« ذرونى أقتل موسى » قال المؤمن :

(أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه ، وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذى يعدكم إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب . يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا) ^(١) .
وأخذ يدعو قومه إلى الحق ، وأخذ يجادل ويناقش محاولاً جرهم إلى سواء السبيل ، ثم انتهى به الأمر معهم أن قال :
(فستذكرون ما أقول لكم ، وأفوض أمري إلى الله ، إن الله بصير بالعباد ، فوقاه الله سيئات ما مكروا ، وحق بآل فرعون سوء العذاب) ^(٢) .

لقد حفظه الله حينما فوض الأمر إليه حالا ومقالات .
٣ - وعجبت لمن ابتلى بالضر كيف يغفل عن .
« رب أنى مسنى الضر ، وأنت أرحم الراحمين » .
والله سبحانه وتعالى يقول :
(فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر) .
والحادثة يروها القرآن الكريم فى سورة الأنبياء قائلا :
(وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر ، وأنت أرحم الراحمين .
فاستجبنا له ، فكشفنا ما به من ضر ، وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة

(١) سورة غافر آية : ٢٨ ، ٢٩

(٢) سورة غافر آية : ٤٤ ، ٤٥

من عندنا وذكرى للعابدين) .

٤ - وعجبت لمن ابتلى بالغم ، كيف يغفل عن :
« لا إله إلا أنت ، سبحانه ، إني كنت من الظالمين » .

والله سبحانه وتعالى يقول :

« فاستجبنا له ، ونجيناه من الغم » .

والقصة كما يذكرها القرآن ، قال :

(وذا النون إذ ذهب مغاضباً ، فظن أن لن نقدر عليه ، فنادى في
الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانه إني كنت من الظالمين . فاستجبنا
له ، ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجي المؤمنين) (١) .

وعلى غرار النسق الذي ذكره الإمام الصادق ، يمكن أن يقال :
عجبت لمن أذنب كيف يغفل عن :

(ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين) .

والقصة كما يرويها القرآن عن آدم وحواء حينما أكلتا من الشجرة :
(وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ، وأقل لكما إن الشيطان
لكما عدو مبين . قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين) (٢) .

(١) سورة الأنبياء - آية : ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) سورة الأعراف - آية : ٢٢ ، ٢٣ .

وعجبت لمن يخشى العذاب في الدنيا ، كيف يغفل عن الاستغفار
والله سبحانه وتعالى يقول :

(وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون) (٢) .

ولقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بأن ندعوه وأن نلجأ إليه ، وأن نتضرع
له في الرخاء وفي الشدة ، وأن الإنسان وهو في حالة النقص الدائم لاحتاج
إلى الله سبحانه وتعالى ، في كل لحظة ، فهو في حاجة إذن إلى الدعاء في
كل فترات حياته . يقول الله سبحانه وتعالى :

(وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا
دعان ، فليستجيبوا لي ، وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) (٣) .
ويقول سبحانه :

« أمن يحيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء
الأرض أله مع الله قليلا ما تذكرون) .

ولقد التجأ إلى الله بالدعاء الأنبياء والمرسلون : لقد دعوه في كل
وقت لاجئين إليه ، مستغيثين به في جميع أمورهم . ومن أمثلة ذلك قوله
سبحانه :

(وذكريا إذ نادى ربه ، رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين .

(١) سورة البقرة - آية : ١٨٦ .

(٢) سورة الأنفال - آية : ٣٣ .

فاستجبنا له ، ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ، إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ، ويدعوننا رغبا ورهبا ، وكانوا لنا خاشعين (١) .
واستغاث به المسلمون ، متضرعين خاشعين داعين ، فاستجاب لهم :
(إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) (٢) .

واتجه إليه رسول الله ﷺ ، حين عودته من الطائف بهذا الدعاء
الرائع :

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يأرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

والواقع أن فى الدعاء تتمثل العبودية لله سبحانه وتعالى ، واضحة جليلة ، أى أنه تتمثل فيه العبادة ، فى صورة من أصدق صورها ، أما العزوف عن الدعاء ، فإنه عادة ينشأ عن نوع من عدم المبالاة بالدين ،

(١) سورة الأنبياء - آية : ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) سورة الأنفال - آية : ٩ .

أساسه الكبرياء التي هي أساس كثير من المعاصي والبدع والانحرافات ،
والتي كانت في أساس المعصية الشنيعة التي تورط فيها إبليس ، حينما أمره
الله فيمن أمر ، بالسجود لآدم . لقد أوى واستكبر وقال :

« أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » ..

ولقد حملته كبرياؤه على الخطأ في أيسر الأمور ، لقد جعل مناط
الخيرية المادة : مادی الجسم ، ولم يهتد عقله في ساعة كبريائه إلى أن
المادة مجرد وعاء ، وأن الوعاء لا يكون مقياس التفضيل ، وأن ما في
الوعاء هو الذي يكون نفيساً سامياً أو خسيساً لا قيمة له .

ومنعه كبرياؤه أيضاً : من أن يرجع إلى الله بالتوبة الخالصة
النصوح ، وهي من مظاهر العبودية ، ولذلك طرد من رحمة الله ، أما
آدم : فإنه بمجرد أن أكل من الشجرة ، شعر بالحياء من الله ، فلجأ إليه
مستغفراً تائباً منيباً ، وتمثل فيه مظهر العبودية جلياً واضحاً : الدعاء .
« ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من

الخاسرين » .

● شهر رمضان والدعاء :

وإنه مما ينبغي في شهر رمضان المبارك ، شهر القرآن ، أن يكثّر
الإنسان من الدعاء ، وذلك أنه من الأوقات التي تفتح فيها أبواب
السماء ، وقد وردت الأحاديث في قبول دعاء الصائم .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
 « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والإمام العادل ،
 ودعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق الغمام ، وتفتح لها أبواب السماء ،
 ويقول الرب : وعزتي وجلالي ، لأنصرنك ولو بعد حين » .
 رواه أحمد في حديث ، والترمذى وحسنه ، وابن ماجه ، وابن
 خزيمة ، وابن حبان في صحيحهما ، إلا أنهم قالوا : « حتى يفطر » .
 ورواه البزار مختصراً :

« ثلاثة حق على الله ألا يرد لهم دعوة : الصائم حتى يفطر . والمظلوم
 حتى ينتصر ، والمسافر حتى يرجع » .

وعن عبد الله - يعنى ابن أبي مليكة - عن عبد الله - يعنى ابن
 عمرو بن العاص - رضى الله عنها ، قال : قال رسول الله ﷺ :
 « إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد » . قال وسمعت عبد الله يقول
 عند فطره :

اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لى .
 زاد فى رواية : « ذنوبى » ، رواه البيهقى .

وعن سلمان رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ ، فى آخر
 يوم من شعبان قال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَظْلَكُم شَهْرٌ عَظِيمٌ مُبَارَكٌ ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةُ خَيْرٍ مِنْ
 أَلْفِ شَهْرٍ ، شَهْرٌ جَعَلَ اللَّهُ صِيَامَهُ فَرِيضَةً ، وَقِيَامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعاً ، مِنْ

تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه ، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزداد في رزق المؤمن فيه ، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبة من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء . قالوا : يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم . فقال رسول الله ﷺ :

يعطى الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمر ، أو على شربة ماء ، أو مذقة لبن ، وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار .

من خفف عن مملوكه فيه ، غفر الله له ، وأعتقه من النار ، فاستكثروا فيه من أربع خصال :

نخصلتين ترضون بهما ربكم ، ونخصلتين لا غناء بكم عنهما : فأما النخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم : شهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه

وأما النخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما : فتسألون الله الجنة ، وتعوذون به من النار .

ومن سقى صائماً ، سقاه الله من حوضي شربة لا يظماً حتى يدخل الجنة . .

رواه ابن خزيمة في صحيحه ، ثم قال : صح الخبر ، ورواه من

طريقه البيهقي .

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال يوماً وحضر رمضان :

أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ، ويباهي بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيراً فإن الشق من حرم فيه رحمة الله عز وجل .

رواه الطبراني ورواته ثقات .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :
ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ودعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين .

رواه أحمد والترمذي وحسنه ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما ، والبخاري ولفظه .

« ثلاثة حق على الله ألا يرد لهم دعوة : الصائم حتى يفطر ، والمظلوم حتى ينتصر ، والمسافر حتى يرجع » .

وإن من الملاحظات الدقيقة التي يلاحظها ذوو البصائر المشرقة ، أن الآيات التي تتحدث عن أحكام الصوم وحكمته ، وعن شهر رمضان ، جمعت في مكان واحد من سورة البقرة ، ويفجأ الإنسان أنه يتخللها

قوله تعالى :

« وإذا سألك عبادى عنى فأبى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) .

وهذه المفاجأة : لا تمر مهلة ، كلا ؛ فإن كل وضع فى القرآن له حكمته ، ومن الحكمة التى تبدولنا فى تحلل آية الدعاء ، فى وسط الآيات عن رمضان والصيام ، أن الدعاء فى أثناء ذلك جدير بالاستجابة ، لما يحيط به من جو روحانى هو جو العبودية والتقوى ، الناتج عن الصيام ، وعن الصلاح الذى يتسم به من صام إيماناً واحتساباً ، والذى تصف الأحاديث النبوية الشريفة بعض مظاهره بعد ثماره :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
قال الله عز وجل :

(كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم ، فإنه لى ، وأنا أجزى به ، والصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابّه أحد ، أو قاتله ، فليقل : إنى صائم ، إنى صائم) .

والذى نفس محمد بيده ، لخلوف فم الصائم أطيب من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحها : إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه ^(١) .

وفى رواية للبخارى :

(١) رواه البخارى ، واللفظ له ، ومسلم .

يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ، الصيام لي وأنا أجزى به ،
والحسنة بعشر أمثالها » .

وفي رواية لمسلم .

كل عمل ابن آدم يضاعف ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة
ضعف ، قال الله تعالى :

« إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلي
للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلاف
فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » .

من الدعاء في القرآن

(بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن
الرحيم : مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط
المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا
الضالين) .

(وإذ قال موسى لقومه ، إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ، قالوا
أنتخذنا هزوا ، قال : أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) ^(١) .
(وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك

(١) سورة البقرة - آية : ٦٧ .

أنت السميع العليم .

ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم (١) .
(ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ،
وقنا عذاب النار) (٢) .

(فلما فصل طالوت بالجنود قال : إن الله مبتليكم بنهر ، فمن شرب منه ، فليس مني ، ومن لم يطعمه فإنه مني ، إلا من اغترف غرفة بيده ، فشرى منه إلا قليلا منهم ، فلما جاوزوه هو والذين آمنوا معه ، قالوا : لا طاقة لنا اليوم بالجالوت وجنوده ، قال الذين يظنون أنهم ملائكة الله ، كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين .
ولما برزوا لجالوت وجنوده ، قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً ، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) (٣) .

آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا تفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير .

لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ؛

(١) سورة البقرة - آية : ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢) سورة البقرة - آية ٢٠١ .

(٣) سورة البقرة - آية ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا ، واغفر لن ، وارحمنا ، أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين (١) .

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب (٢) .

(الذين يقولون ربنا إنا آمنة ، فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) (٣) .

(هنالك دعا زكريا ربه ، قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة . إنك سميع الدعاء) (٤) .

(ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول ، فاكتبنا مع الشاهدين) (٥) .
(وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين) (٦) .

(١) سورة البقرة - آية : ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(٢) سورة آل عمران - آية : ٨ .

(٣) سورة آل عمران - آية : ١٦ .

(٤) سورة آل عمران - آية : ٣٨ .

(٥) سورة آل عمران - آية : ٥٣ .

(٦) سورة آل عمران - آية : ١٤٧ .

(ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار) (١) .
 (ربنا إنا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا ، ربنا
 فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتانا ما وعدتنا
 على رسلك ، ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) (٢) .
 « الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل
 لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً » (٣) .
 (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما
 عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) (٤) .
 (قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون
 لنا عيداً لأولنا وآخرنا ، وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين) (٥) .
 (وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار ، قالوا ربنا لا تجعلنا
 مع القوم الظالمين) (٦) .
 « وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ، ربنا أفرغ علينا صبراً

(١) سورة آل عمران - آية : ١٩١ .

(٢) سورة آل عمران - آية : ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٣) سورة النساء - آية : ٧٥ .

(٤) سورة المائدة - آية : ٨٣ .

(٥) سورة المائدة - آية : ١١٤ .

(٦) سورة الأعراف - آية : ٤٧ .

وتوفنا مسلمين» (١) .

(قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك ، وأنت أرحم
الراحمين.) (٢) ،

(فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين . ونجنا
برحمتك من القوم الكافرين) (٣) .

(رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ، ربنا وتقبل دعاء ، ربنا
اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) (٤) .

(إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا : ربنا آتنا من لدنك رحمة
وهيئ لنا من أمرنا رشداً) (٥) .

(قال رب اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، واحلل عقدة من
لساني ، يفقهوا قولي) (٦) .

(فتعالى الله الملك الحق ، ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك
وحيه ، وقل : رب زدني علماً) (٧)

(١) سورة الأعراف - آية ١٢٦ .

(٢) سورة الأعراف - آية : ١٥١ .

(٣) سورة يونس - آية : ٨٥ ، ٨٦ .

(٤) سورة إبراهيم - آية : ٤٠ ، ٤١ .

(٥) سورة الكهف - آية : ١٠ .

(٦) سورة طه - آية ٢٥ - ٢٨ .

(٧) سورة طه - آية ١١٤ .

(وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في
الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) .
(فاستجبنا له ، ونجينا من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) .
(وزكريا إذ نادى ربه ، رب لا تدركني فرداً وأنت خير الوارثين)
(فاستجبنا له ، ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ، إنهم كانوا
يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً ، وكانوا لنا خاشعين) (١) .
(قل رب إما ترينى ما يوعدون . رب فلا تجعلنى فى القوم
الظالمين) (٢) .

(وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن
يحضروني) (٣) .

(إنه كان فريق من عبادى يقولون ، ربنا آتنا فاعفر لنا وارحمنا
وأنت خير الراحمين) (٤) .

(وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) (٥) .
(والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً .

(١) سورة الأنبياء - الآيات ٨٧ - ٩٠ .

(٢) سورة المؤمنون - آية ٩٣ ، ٩٤ .

(٣) سورة المؤمنون - آية: ٩٧ ، ٩٨ .

(٤) سورة المؤمنون - آية : ١٠٩ .

(٥) سورة المؤمنون - آية : ١١٨ .

إنها ساءت مستقراً ومقاماً (١).
 (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ،
 واجعلنا للمتقين إماماً) (٢) .
 (رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين
 واجعل لي لسان صدق في الآخرين .
 واجعلني من ورثة جنة النعيم .
 واغفر لأبي إنه كان من الضالين .
 ولا تحزني يوم يبعثون .
 يوم لا ينفع مال ولا بنون .
 إلا من أتى الله بقلب سليم) (٣) .
 (فتبسم ضاحكاً من قولها ، وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي
 أنعمت عليّ وعلى والدي ، وأن أعمل صالحاً ترضاه ، وأدخلني
 برحمتك في عبادك الصالحين) (٤) .
 (قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ، فغفر له ، إنه هو الغفور
 الرحيم) (٥) .

(١) سورة الفرقان - آية : ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) سورة الفرقان - آية : ٧٤ .

(٣) سورة الشعراء - آية : ٨٣ - ٨٩ .

(٤) سورة النمل - آية : ١٩ . (٥) سورة القصص - آية : ١٦ .

(فخرج منها خائفاً يترقب ، قال رب نجني من القوم الظالمين) (١) .
 ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا
 سبيلك ، وقهم عذاب الجحيم) .
 ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم
 وأزواجهم ، وذرياتهم ، إنك أنت العزيز الحكيم) (٢) .
 (فستذكرون ما أقول لكم ، وأفوض أمري إلى الله ، إن الله بصير
 بالعباد) (٣) .

(ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) (٤) .
 (قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي
 وأن أعمل صالحاً ترضاه ، وأصلح لي في ذريتي ، إني تبت إليك وإني
 من المسلمين) (٥) .

(ليس لها من دون الله كاشفة) (٦) .
 (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين

(١) سورة القصص - آية : ٢١ .

(٢) سورة غافر - آية : ٧ ، ٨ .

(٣) سورة غافر - آية : ٤٤ .

(٤) سورة الدخان - آية ١٢ .

(٥) سورة الأحقاف - آية : ١٥ .

(٦) سورة النجم - آية : ٥٨ .

سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف
رحيم (١).

(ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا ، وإليك المصير).
(ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز
الحكيم) (٢).

(يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ، نورهم يسعى بين
أيديهم ، وبأيمانهم ، يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا ، إنك على كل
شئ قدير) (٣) .

(قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر غاسق إذا وقب .
ومن شر النفاثات في العقد . ومن شر حاسد إذا حسد) (٤) .
(قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إله الناس . من شر
الوسواس الخناس . الذي يوسوس في صدور الناس . من الجنة
والناس) (٥) .

* * *

-
- (١) سورة الحشر - آية : ١٠
(٢) سورة الممتحنة - آية : ٤ ، ٥ .
(٣) سورة التحريم : آية : ٨ .
(٤) سورة الفلق .
(٥) سورة الناس .

والآن ننتقل إلى من كان خلقه القرآن ، إلى رسول الله ﷺ .
لقد حث رسول الله ﷺ كثيراً على الدعاء وعالجه من نواح متعددة
وكان في كل ذلك متمشياً تمشياً كاملاً مع القرآن .

إن القرآن الكريم حث على الدعاء ، وذكر أنماطاً من الدعوات
ومواقف من اللجوء إلى الله في ذلك . ولقد نهج رسول الله ﷺ هذا
النهج : لقد حث صلوات الله وسلامه عليه ، على الدعاء واستفاض
ﷺ فيه استفاضة تتناسب مع العبودية الكاملة لله سبحانه وتعالى التي
حققها رسول الله ﷺ بقوله وحققها بسلوكه وحققها بمشاعره وأحاسيسه
التي أعلنت ، في وضوح ، العبودية في أتم صورها .

وكما تتسم الدعوات في القرآن بالسهولة الممتنعة في الأسلوب فإن
دعوات رسول الله ﷺ تتسم بالجزالة والوضوح .

ولقد كان رسول الله ﷺ ، يدعو بما يتناسب مع الوضع الذي هو
فيه ، زماناً كان ، أو مكاناً ، أو حالة نفسية ، أو اجتماعية .

بل كان له في كثير من الحالات أدعية عدة لكل حالة بذاتها تتفاوت
طولا وقصراً ، وتختلف معنى ولفظاً .

ونحن الآن بعد أن أوجزنا الحديث عن موقف القرآن من الدعاء .
نبدأ الآن بالحديث عن موقف رسول الله ﷺ من الدعاء ، وهذا الذي
نشرع فيه الآن إنما هو توضيح للموقف القرآني نفسه وذلك أن الله
سبحانه وتعالى يقول لرسوله ﷺ :

(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) .
 وإننا إذن لم نخرج عن الحديث في القرآن حيننا نتحدث عن موقف
 رسول الله ﷺ من الدعاء وحيننا نستفيض في ذكر صيغ من دعاء
 رسول الله ﷺ .

● فضل الدعاء :

عن أبي هريرة رضى الله عنه - فيما أخرجه الإمام أحمد والترمذى -
 عن النبي ﷺ :

« ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
 « الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السموات
 والأرض » ^(١) .

وعن النعمان بن بشير ، رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال :
 « الدعاء هو العبادة » ، ثم قرأ :
 (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن
 عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) ^(٢) .

وروى عن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

(١) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ورواه أبو يعلى من حديث علي .

(٢) رواه أبو داود ، والترمذى . وقال حديث صحيح .

« الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذى .

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :
« ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله تعالى إياها ، أو
صرف عنه من السوء مثلها ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » فقال رجل
من القوم :

« إذن نكثر » قال : « الله أكثر » رواه الترمذى ، والحاكم .
وعن أبى هريرة ، رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« ما من مسلم ينصب وجهه لله عز وجل فى مسألة إلا أعطاه إياه :
إما أن يعجلها له ، وإما أن يدخرها له فى الآخرة » (٢) .

وعن جابر بن عبد الله ، رضى الله عنهما عن النبى ، ﷺ قال :
« يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه ، فيقول :
عبدى إني أمرتك أن تدعونى ، ووعدتك أن أستجيب لك ، فهل
كنت تدعونى ؟

فيقول : نعم يا رب .
فيقول : أما إنك لم تدعنى بدعوة إلا استجبت لك ، أليس دعوتنى
يوم كذا وكذا ، لغم نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك ؟
فيقول : نعم يا رب .
فيقول : إني عجلتها لك فى الدنيا .

(١) رواه أحمد رضى الله عنه .

ودعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر فرجاً؟
قال : نعم يارب .

فيقول : إني ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا .

ودعوتنى في حاجة أن أقضيها لك في يوم كذا وكذا فقضيها؟
فيقول : نعم يارب .

فيقول : إني عجلتها لك في الدنيا .

ودعوتنى يوم كذا وكذا في حاجة أقضيها لك فلم تر قضاءها؟
فيقول : نعم يارب .

فيقول : إني ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا .

قال رسول الله ، ﷺ :

« فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا بين له : إما أن يكون
عجل له في الدنيا ، وإما أن يكون الأجر له في الآخرة ، قال : فيقول
المؤمن في ذلك المقام : يا ليتني لم يكن عجل له شيء من دعائه » (١) .
وعن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
قال الله تعالى :

« يابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك
ولا أبالي ، يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتنى
غفرت لك ولا أبالي ، يابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ،

(١) رواه الحاكم

ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة» ^(١) .
 وعن أبي هريرة ، رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
 « إن الله عز وجل يقول :
 « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا دعاني » ^(٢) .
 وعن أبي صالح : فيما أخرجه ابن ماجه - قال :
 قال رسول الله ﷺ :
 « من لم يسأل الله يغضب عليه » .
 وعن عبد الله - فيما أخرجه الترمذى - قال : قال رسول الله ﷺ :
 « سلوا الله من فضله ، فإن الله يحب أن يسأل ، وأفضل العبادة
 انتظار الفرج » .
 وعن أبي ذر ^(٣) رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ فيما يروى عن ربه
 عز وجل أنه قال :
 « يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً
 فلا تظالموا » .

(١) رواه أحمد والحاكم .

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٣) حينما كان أبو أدریس الخولاني يروى هذا الحديث بالذات فإنه كان يتخذ
 هيئة مخصوصة لإجلال الحديث . لقد كان يحنو على ركبتيه أولاً ثم يبدأ الحديث .

يا عبادى كلکم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدکم .
يا عبادى كلکم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمکم .
يا عبادى كلکم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسکم .
يا عبادى إنکم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً
فاستغفروني أغفر لکم .
يا عبادى إنکم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي
فتنفعوني .
يا عبادى لو أن أولکم وآخركم ، وإنسکم وجنکم كانوا على أفجر
قلب رجل واحد منکم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً .
يا عبادى لو أن أولکم وآخركم ، وإنسکم وجنکم قاموا في سبيد
واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان منکم مسألته ، ما نقص ذلك مما
عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر .
يا عبادى إنما هي أعمالکم أحصيا لکم ، ثم أوفیکم إياها ، فمن
وجد خيراً فليحمد الله عز وجل ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا
نفسه » (١) .

(١) رواه مسلم .

● الدعاء والقضاء :

وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
لا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر ، وإن الرجل
ليحرم الرزق بالذنب يذنبه ^(١).

وعن سلمان الفارسي رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال :
« لا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر » ^(٢).
وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :
« لا يغني حذر عن قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وإن
البلاء ليتزل فيلقاه الدعاء ، فيعتلجان إلى يوم القيامة » ^(٣).

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
« من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة ، وما سئل
الله شيئاً » يعنى أحب إليه من أن يسأل العافية ، وقال : قال رسول الله ﷺ :
« إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، فعليكم عباد الله
بالدعاء » ^(٤).

(١) رواه ابن حبان في صحيحه ، والحاكم .

(٢) رواه الترمذى .

(٣) رواه البزار ، والطبراني ، والحاكم .

(٤) رواه الترمذى ، والحاكم .

ويقول الإمام الغزالي :

فإن قلت : ما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له ؟
 فاعلم أن القضاء رد البلاء بالدعاء واستجلاب الرحمة ، فالدعاء
 سبب لرد البلاء كما أن الترس سبب لرد السهم ، والماء سبب لخروج
 النبات من الأرض ، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك
 الدعاء والبلاء يتعالجان ، وليس ، من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى
 ألا يحمل السلاح ، وقد قال تعالى :
 (خذوا حذرکم) .

وألا تسقى الأرض بعد بث البذور ، فيقال إن سبق القضاء بالنبات
 نبت البذر ، وإن لم يسبق لم ينبت ، بل ربط الأسباب بالمسببات هو
 القضاء الأول .

وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدرج
 والتقدير هو القدر ، فالذى قدر الخير قدره لسبب والذى قدر الشر قدر
 لدفعه سببا ، فلا تناقض في هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته « اهـ .

● ثمرة الدعاء :

عن أنس رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تعجزوا
 في الدعاء ، فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد » (١) .

(١) رواه ابن حبان والحاكم .

وعن أبي سعيد الخدري ، رضى الله عنه ، أن النبي ﷺ قال :
 « ما من مسلم يدعو بدعوة ليس بها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه
 الله بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في
 الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها » .
 قالوا : إذن نكثر؟ ^(١)
 قال : الله أكثر .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
 « من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن نزلت به فاقة
 فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل » ^(٢) .

● استجابة الدعاء :

عن سليمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
 « إن الله حيى كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا
 خائبين » ^(٣) .

· فإذا أردت الاستجابة فابدأ :

١ - بالتوبة الخالصة النصوح .

(١) رواه أحمد والبراز وأبو يعلى ، والحاكم .

(٢) رواه أبو داود والترمذى . والحاكم .

(٣) رواه أبو داود ، والترمذى ، وحسنه .

٢ - وتحر الحلال .

فعن ابن عباس ، فيما أخرجه الحافظ ابن مردويه ، نليت هذه الآية عند النبي ، ﷺ :

(يأياها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا) فقام سعد بن أبي وقاص فقال :

« يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال :
« يا سعد ، أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده أن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والريا فالنار أولى به » .

● الدعاء في الرخاء :

وعن أبي هريرة ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ، ﷺ قال :
« من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر من الدعاء في الرخاء » (١) .

دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب :

عن أبي الدرداء رضى الله عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :
« ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك

(١) رواه الترمذى والحاكم .

بمثل » (١)

وعنه أن رسول الله ﷺ ، كان يقول :

« دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل ، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل آمين ولك بمثل » (٢) .

وعن صفوان بن عبد الله فيما رواه الإمام مسلم - قال :
قدمت الشام فأتيت أبا الدرداء في منزله فلم أجده ، ووجدت أم الدرداء .

فقلت أتريد الحج العام ؟

فقلت : نعم ..

فقلت : ادع لنا بخير ، فإن رسول الله ﷺ كان يقول :
دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب (٣) مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير ، قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل .
قال : فخرجت إلى لسوق فلقيت أبا الدرداء ، فقال لي مثل ذلك يرويه - عن النبي ﷺ .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) أى في حالة غيبة أخيه .

● أوقات الدعاء وأماكنه :

والدعاء يصح في كل وقت ، بيد أن هناك أوقاتاً وأماكن أرجى في قبول الدعاء من غيرها ، وقد ذكر رسول الله ﷺ ، أوقاتاً للدعاء ، منها ثلث الليل الأخير .

يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ » رواه البخاري .

ولقد سئل رسول الله ، ﷺ ، عن : أى الدعاء أسمع ؟ فقال : « جوف الليل الآخر ، ودبر الصلوات المكتوبة » رواه الترمذي وحسنه .

وروى مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ، ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثرُوا من الدعاء » . ونقل البيهقي في السنن الكبرى عن الإمام الشافعي ، أنه قال : بلغنا أنه كان يقال :

« إن الدعاء ، يستجاب في خمس ليال ، في ليلة الجمعة ، وليلة الأضحى ، وليلة الفطر ، وأول ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان » .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ :

« ساعتان لا ترد على داع ، دعوته : حين تقام الصلاة ، وفي
الصف في سبيل الله » رواه ابن حبان في صحيحه .
الأماكن الطاهرة المباركة ، وأشرفها الحرم المكي والحرم المدني .
والمسجد الأقصى .

وقال ﷺ :

« الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد » ^(١) .

وقال ﷺ أيضا :

« الصائم لا ترد دعوته » ^(٢)

وقال ﷺ :

« أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد ، فأكثرُوا من

الدعاء » ^(٣) .

وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال ^(٤) :

« إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعا وساجدا ، فأما الركوع فعظموا فيه

(١) رواه الحاكم وصححه .

(٢) رواه الترمذى وحسنه .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه مسلم .

الرب ، وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فقمين أن يستجاب لكم « (١) .

● من جوامع الدعاء :

عن أبي أمامة رضى الله عنه قال : دعا رسول الله ﷺ وسلم بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً ، قلنا يا رسول الله ، دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً؟ قال ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله تقول :

« اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ، ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبيك محمد ﷺ ، وأنت المستعان ، وعليك البلاغ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » (٢) .

وعنه رضى الله عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ يقول :

« اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنيائى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر » (٣) وروى الحاكم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ ، قال :

(١) انظر إحياء علوم الدين .

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

(٣) رواه مسلم .

أُتُحِبُّونَ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ ؟
قَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ .
قَالَ : قُولُوا اللَّهُمَّ أَعِزَّنَا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحَسَنَ عِبَادَتِكَ .

خاتمة

في مرضاة الله

إن آيات الصيام وردت في القرآن في موضع واحد من سورة البقرة ، ووردت متتالية . بيد أنه تخللها - دون أن يكون هناك مقدمات ظاهرة - آية لا تتحدث عن حكمة الصيام ، ولا عن كفيته ، ولا عن أحكامه ، هي آية :

(وإذا سألك عبادى عنى ، فأنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) .

وإذا تأملت قليلا تجد أن هذه الآية ليست بعيدة عن جو الصيام : وذلك أن الله سبحانه وتعالى ، إنما يتقبل من المتقين . فإذا أثمر الصيام التقوى ، وهى الحكمة التى شرع الصيام من أجلها ، فقد أدى الغاية التى فرض بسببها .

وهذه الغاية نفسها لها ثمرتها التى تلازمها ، وهى مرضاة الله ، وفى مرضاة الله كل خير : إن فيه التوفيق ، وفيه تسديد الخطى ، وفيه حب الله لعبده ، ورضوانه عنه ، وفيه استجابة دعائه ، وفيه قربه ، وكأن الآية تقول :

وإذا سألك عنى عبادى الذين حققوا العبودية لى بالتقوى التى أثمرها الصوم ، فأنى قريب منهم ، إنى أقرب إليهم من حبل الوريد ، أجيب

من دعا ، وأرشد من تحير ، وأخذ بيد من وقع في هم .
(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن
يتوكل على الله فهو حسبه) .

فهرس

صفحة

مقدمة :

٧

فى جو التوبة

الفصل الأول :

١١

شهر رمضان وليلة القدر

الفصل الثانى :

٣١

شهر رمضان والصيام

الفصل الثالث :

٥٥

الصيام : شروط ، واجبات

منهيات ، سنن ، مباحات .

الفصل الرابع :

٧٣

سلوك الصالحين فى شهر رمضان

الفصل الخامس :

٩٧

الذكر والدعاء فى شهر رمضان

خاتمة :

١٥٣

فى مرضاة الله

١٩٨٨ / ٥٦٩٥	رقم الإيداع
ISBN ٩٧٧-٠١-١٩٠٣-٢	الترقيم الدولي

١ / ٨٨ / ١٠٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)